
قافلة الزيت
صفر ١٣٩٩هـ (يناير ١٩٧٩م)


يا حي يا قيوم

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الثاني المجلد السابع والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩

الظهران - المملكة العربية السعودية

• جميع المراسلات باسم رئيس التحرير .
• كل ما ينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها .
• تجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر .
• لا تقبل القافلة الا المواضيع التي لم يسبق نشرها .

المدير العام : فيصل محمد البسام • المدير المسئول : إسماعيل إبراهيم نواب • رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي • المحرر المساعد : عوني ابو كشك

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

مدرسة الديوان

بقلم: الاستاذ غازي زين عوض الله

ليست مدرسة الديوان ، مدرسة بالمعنى الدارج المفهوم اليوم ذات مبان ، وأفنية ، وانما كانت مدرسة الديوان اتجاهاً في الأدب ومنهجاً في النقد ، التقى عليه كل من عباس محمود العقاد ، ومحمد عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري، التقوا فيه على قدر وعلى اتفاق فيما نهلوا من الثقافة والعلم. يقول العقاد في الجزء السابع من مجلة «المجمع اللغوي» : فمن عجب التوفيق ان يكون شكري في الاسكندرية وان يكون المازني في القاهرة وأن أكون أنا في اسوان ، ثم نلتقي على اتفاق فيما قرأناه وفيما نحب أن نقرأه .

لذلك فان مدرسة الديوان تعتبر اتجاهاً جديداً في الأدب ، وفاتحة صراع بين هذا الاتجاه الجديد والاتجاه القديم لشوقي وحافظ وأضرابهما . وقد ألف العقاد والمازني كتاب « الديوان في الأدب والنقد » ، وهو دستور تلك المدرسة التي تحمل هذا الاسم ، ولم يشترك فيه عبد الرحمن شكري تأليفاً الا انه كان يحمل وجهة نظره في هذا الاتجاه الجديد اذ ان ثلاثتهم كانوا ينهلون من منابع واحدة ، ترفدهم بالثقافات المختلفة اتخذوها مبدأ لهم في الفكر والأدب ، ومن هنا انطلق اسم « مدرسة الديوان » .

وقد أحاط بنشأة هذا الفكر الجديد ، ظروف اجتماعية وسياسية ، فكان الشعر التقليدي هو اللون الشائع في ذلك الوقت ، وكان مسيطراً على الحياة الفكرية مرتبطاً بالطبقة العليا من المجتمع المصري غير حافل بالسواد الأعظم منه . وكانت رسالة الأدب تعادل رسالة الموظف ، وليس أدل على ذلك من أن شوقي لو لم يكن شاعراً ما كانت له تلك الحظوة لدى خديوي مصر في ذلك الحين . وكان اتجاه الشعراء والأدباء هو أن يقلدوا ادباءهم الكبار باعتبارهم مثلاً أعلى لهم . فسادت فردية الشاعر ونسيان ذاته ومشاعره ، الا ان العقاد، والمازني، وشكري قد ضاقوا ذرعاً بالحياة الادبية والفكرية في مصر ، فاتجهت انظارهم صوب التراث العالمي من فكر وحضارة وأدب ، يعبّون منها بنهم شديد مع دراسة التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة في العالم ، ثم خرج هؤلاء الشباب من ذلك كله بثورة فكرية عاتية تتصدى لهؤلاء الشعراء المقلدين الذين اسهموا في تخلف مصر في ذلك الوقت عن الركب الفكري والأدب العالمي ، وكان هؤلاء المقلدون في ذلك الحين يتبوأون منابر الأدب في مصر .

ومن هنا نشب الصراع بين طموح هؤلاء الشعراء الثلاثة وأحلامهم وبين واقعهم المرير الذي يعيشونه في ذلك الوقت ، فاندفعوا يحطمون بمعاولهم اصنام الأدب ، وأحدثوا في الحياة الأدبية دوياً هائلاً في شجاعة منقطعة النظير حاملين تياراً فكرياً جديداً في مطلع هذا القرن .





وقد ساهم في نشر دراساتهم النقدية « صحيفة عكاظ » وهي صحيفة اسبوعية ادبية ، نشرت لهم العديد من المقالات النقدية لاعمال الآخرين ، وكانوا يهدفون بذلك الى اظهار البون الشاسع بين اتجاههم الادبي الجديد وبين الاتجاه السائد. وابتداء من العدد الثالث الصادر في ٢٧ يوليو ١٩١٣ ، نشرت الصحيفة المذكورة سلسلة من المقالات للمازني يقارن فيها بين شعر عبد الرحمن شكري وحافظ ابراهيم ، ومما قاله في هذا الصدد: « ان شكري شاعر مطبوع وحافظ ينظم الشعر بالصنعة ، وان الله لم يخلق اثنين هما اشد تناقضاً في الاتجاه وتبايناً في المنزع من هذين » .. حتى يقول : « وبعد ، فان حافظاً اذا قيس الى شكري كالبركة الآجنة الى جانب البحر العميق الزاخر ، وحسب القارىء ان يتأمل ديوانهما فيعلم ما بينهما من البعد وليعرف كيف يقعد الخيال بخيال حافظ ويسمو بشكري في سماء الفكر ، وكيف يجني التقليد على رجل ويغلق في وجهه ابواب التصرف والتفنن ، فان حافظاً قد حذا في شعره حذو العرب وقلدهم في أغراضهم وفرط عنايتهم باصلاح اللفظ وان فسد المعنى .. »

واستمرت هذه الحملة الشعواء حتى عام ١٩١٤ ، وكان يقودها المازني ضد حافظ يسانده عباس العقاد الذي نشر مقالتين تحت عنوان « الشعراء النادبون » في جريدة عكاظ (١) فوصف العقاد حافظ بأنه شاعر نداب وقف شعره على الندب والولولة والعويل ، مدعياً ان لكل عصر شعره وان هذا العصر لا يحتمل الندب والعويل فيه الا شاعر مغلق الذهن لا يتيقظ خياله الا بمنخاس الغلو الفاحش والمبالغة المستحيلة .

ومما سبق يتضح لنا كيف ان اصحاب مدرسة الديوان قد وجهوا سهامهم بكل عنف وشدة الى اصحاب الاتجاه التقليدي في الادب ، واستخدموا في ذلك الاساليب العنيفة المشوبة بالسخرية والتهكم ، وذلك لانهم كانوا في حالة من اليأس الشديد تجاه هؤلاء الأدباء .

ويصف العقاد تلك الفكرة من الكفاح بقوله :

« وأخال انها شملتنا جميعاً بمحنة العقل الاليمة فنفضها شكري عنه بقصائده ، العابسة في ديوانيه الثالث والرابع ، ونفضتها عني بقصيدتي التي نظمتها على نمط الملاحم وسميتها « ترجمة الشيطان » وراضها المازني وراضته فاستراح اليها غاية ما استطاع من راحته وعالجها يومئذ ، ولم يزل يعالجها بعد ذلك بنزعة الاستخفاف وقلة الاكتراث » .

ومعنى هذا ان هؤلاء الشعراء وان اتفقت نشأتهم في أسرهم الى حد ما بوصفهم من الطبقة الوسطى ، وتقاربت أعمارهم الى حد ما ايضاً (ولد العقاد في ٢٨ يوليو ١٨٨٩ ، وعبد الرحمن شكري في ١٢ اكتوبر سنة ١٨٨٦ والمازني في ١٩ أغسطس سنة ١٨٩٠) . وكما سبق ان اوضحنا ان معرفتهم ومصادر ثقافتهم قد اتفقت وكان لذلك اكبر الاثر في الالتقاء الفكري الذي اجتمعوا عليه او اجمعوا امرهم عليه ، وان كان هذا لم يمنع اختلاف طبائعهم . ففي حين كان العقاد حاد الطباع ، عنيفاً ، نجد ان شكري كان منطوياً على نفسه ، فيه رقة ولين وانزواء . اما المازني فيتفق مع العقاد في عدم المبالاة بالجمهور ولكن بأسلوب مختلف يشوبه الدهاء والسياسة التي جعلته احياناً لا يعترف بشاعريته ويقول دائماً : « حسبي من الأدب ما كتبته من المقالات » .

ويرى بعض الادباء المحدثين ممن عاصروا هذا الجيل من الادباء ان موقف مدرسة الديوان من الشعراء التقليديين واختلافهم من حيث الامزجة والطبائع انما يتشابهون الى حد كبير مع موقف شعراء البحيرة في الادب الانجليزي ، وموقفهم ممن سبقوهم او عاصروهم من الشعراء او النقاد . وكانت هذه المدرسة « شعراء البحيرة » تتمثل في أقطابها الثلاثة كوليردج ، ووليام هازلت و روبرت براونج . على انه رغم ما بين مدرسة الديوان ومدرسة شعراء البحيرة من أوجه الشبه ، فاننا نرى أن ما احدثته فترة التحول الفكري والأدبي في نفوسهم كان سبباً في اختلاف طبائعهم ، وكان ذلك سبباً في الجفوة التي حدثت بين المازني وشكري .

ولعله من المفيد في هذا البحث ان نعرض للخصومة التي وقعت بين شكري والمازني . فقد كان شكري رجلاً متوفز الأعصاب ، يقيمه النقد ويقعده ، مهما يكن مصدره . والواقع ان شكري تنبه الى سرقات المازني لبعض القصائد الانجليزية ، اذ كان يقول عن نفسه انه كان يتأثر من رؤية هذه السرقات ومن أمثلة هذه السرقات قصيدة « فتى في سباق الموت » للشاعر « هود » وقصيدة « الشاعر المحتضر » التي نشرت في جريدة عكاظ مأخوذة من قصيدة « أدوني » للشاعر « شللي » الانجليزي وقصيدته بعنوان « قبر الشعر » منقولة عن « هيني » الشاعر الألماني ، وقصيدته « الراعي المعبود » منقولة عن الشاعر « لويل » الامريكي وقصيدته « الوردة الرسول » عن الشاعر « ولر » الانجليزي . ويقول شكري : ولا أظن ان احداً يجهل مدحي للمازني وايثاري اياه واهدائي الجزء الثالث من ديواني اليه وصداقتي له ، ولكن كل هذا لا يمنع من اظهار ما أظهرت ومعاتبته في عمله ، لأن الشاعر مأخوذ الى الابد بكل ما صنع في ماضيه ، حتى يداوي ما فعل ويرد كل شيء الى أصله ، وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء عدم ظهور هذه الأشياء ولسنا من قرى النمل حتى تخفى .

ولم يقف المازني تجاه نقد شكري له مكتوف اليدين ، وانما رد عليه بمقالة في جريدة « النظام » ينقد فيه شعر شكري. ورد عليه شكري بمقالة في الجريدة نفسها بعد ذلك ، وأبدى المازني وجهة نظره في دعوى السرقة انه كان يجب ان يغضي عن هذه التهم اكتفاء

(١) العددان الصادران في ٩ و ٢٣ مارس ١٩٤٠

باظهار الجزء الثاني من ديوانه ، فانه وحده خير رد على ما رمى به ، ولكن الضجة التي قامت حول الموضوع والشماته لا تجعلان السكوت من الحزم في شيء ، ولقد كان من الانصاف الا يلام غيره اذا ما صح النسب اليه ، ولكن الناس تجاوزوه الى غيره واتهموا سواه قياساً عليه . ويختم المازني مقدمته قائلاً : « ولئن كان ما اخذ علينا دليلاً على شيء فهو دليل على سعة الاطلاع ، وسرعة النسيان وهو ما يعرفه عنا اخواننا جميعاً .

ولكن لم يكفي شكري هذا الاعتذار من المازني وانما تمادى شكري في نقده المرير للمازني حين قال بعد ذلك في مجلة « المقتطف » : ان كل اديب حارس من حراس الأدب ، ومن واجبه الا يغفل عن حراسته ، فقد شاع بين الأدباء ان المازني قد أخذ بعض قصائد كاملة من شعراء الغرب وافكاراً متفرقة ، بل ان مقال المازني « تناسخ الارواح » مأخوذ من أوله الى آخره من مقالات « اديسون » الكاتب الانجليزي في مجلة « السبكتاتور » كما ان مقالات المازني في ابن الرومي ، بل في العبقرية والعظماء معظمها مأخوذ من كتاب عنوانه « شكسبير » تأليف « فيكتور هوجو » الشاعر الفرنسي ، وبعضها من مقالات « كارليل » الادبية .

ولم يكتف شكري باستفزازه للمازني وانما اضاف اليه العقاد واخذ ينقد شعرهما معاً في سلسلة مقالات في صحيفة « عكاظ » في عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ تحت عنوان « ناقد » . وكان العقاد ممسكاً بزمام المازني طيلة ست سنوات منذ هاجمه شكري ، اذ كان لا يسمح للمازني بمهاجمة شكري لانه يعلم ان سبب تشاؤمه ونفوره من الناس انه كان مريضاً بالنورستانيا . وانتهز المازني فرصة سفر العقاد الى اسوان لامر ما فكتب المازني يشفي ما في نفسه بنقد عبد الرحمن شكري في فصل الحقه بالجزء الاول من « الديوان في الأدب والنقد » وكان عنيفاً جداً في هجومه على شكري ، ولم يطب العقاد نفساً لتلك الجفوة التي حدثت في صفوف صاحبيه ، عمودي مدرسة الديوان ، فجمعهما وأصلح ما بينهما . وكتب العقاد في تلك المناسبة مقالاً في جريدة « الافكار » وصف ما جرى بينهما بأنه مصارعة أصدقاء لا مقاتلة اعداء . وانقشعت الغمة وعادت الحياة الحلوة كما كانت ، بين الأصدقاء .

وطابت نفس المازني وأحس بأنه كان عنيفاً في هجومه على زميله شكري ، فكتب مقالاً بعد ان تقدمت به السن في جريدة « السياسة » ارضاء لشكري بعنوان «التجديد في الأدب العصري». كما كتب مقالاً آخر يقول فيه ان شكري رجل حساس رقيق الشعور ، سريع التأثر وميال بطبعه الى اليأس فشق عليه ان يظل يدأب وليس له من يعنى به ، وان يقضي خير عمره يرفع صوته بأعمق ما تضطرب به النفوس الملهمة الحساسة وليس له من يستمع اليه او يعيره لفتة .

الا ان بعض الكتاب كانوا يتبنون الخلافات القديمة بين شكري والمازني ويعملون على توسيع شقتها بكل الاساليب من أمثال رمزي مفتاح ، لا خدمة لقضية ادبية وانما بغية تفريق الشمل من جديد وتشتيت جهود عمالقة مدرسة الديوان الثلاثة . وهنا كتب المازني مقالاً ثالثاً في أول سبتمبر سنة ١٩٣٤ يعتذر فيه عما بدر منه ويعلن فضل شكري وتوجيهه له وتأثيره فيه وانه لولا عون شكري المستمر له لتخبط اعواماً اخرى وكان من المحتمل ان يضل طريق الهدى .

ولقد نظم شكري قصيدته المشهورة يخاطب بها المازني :

رحيق الحيـــاة الود لو دام صافياً
وكالراح أحلاه المعتـــق ذو العهـــد
وأحسنه ما كـــان من عصرة الصبـــا
ولم يحـــل بعد الشيب مستحدث الود
رأيت الصبا وداً ، وود الصبا صبـــا
كيانهمـا الممـــزوج كالجواهر الفـــرد

ووصف العقاد هذه القصيدة بأنها من أروع وأبلغ ما نظم شكري بل من ابلغ الشعر العربي في جميع عهوده .

والواقع انه لولا سماحة نفس المازني وطيب قلبه لما كان لهذا الخلاف أن ينتهي أبداً ، هذا بالاضافة الى ان من المسلم به ان المازني رجل جم التواضع ، ينكر نفسه في سبيل صاحبه ، وتبين ذلك من المقدمة التي كتبها لديوان العقاد والتي جاء فيها :

« وبعد فهل يصلح هذا الكلام ان يكون مقدمة لهذا الديوان ؟ لا أدري ، وليس ذنبي الا يكون كذلك ، فقد أردت شيئاً وأراد العقاد خلافه ، وكان العزم ان اقول غير ما قلت ، فأبى علي ما هممت به وردني عما شرعت فيه وركب رأسه وأصر على أن أعدل ، فاذا كان فيما كتبت تصوراً او تقصيراً ، فالذنب له وحده دوني ، وما كنت أبغي الا أن أقول كلمة حق أبرىء بها ذمتي ، فأباها علي واستنكرها مني كبراً او تواضعاً او حياء او مجاملة . لا أدري ؟ وحسناً فعل او شراً فعل ، فما العقاد في حاجة الى انصاف مني او من سواي » .

وكانت المقدمة التي أباها العقاد ، تتضمن الاشادة بشاعريته واتهاماً لشاعرية المازني وشعره ، وأطرى فيها على العقاد اطراء جعل العقاد يقدم على رفض تلك المقدمة حياء منه وتواضعاً ، ويشير عليه بكتابة غيرها ، وهي التي تتصدر الديوان . ولكن المازني مع ذلك ينسى ان يشير فيها الى المقدمة الاولى ويثبت عدم ارتياحه لذلك الرفض .

أما منهج المدرسة فانه لم يتأثر بشوقي أقل تأثير لا من حيث اللغة ولا من حيث الروح ، بل ربما كان الاصح ان شوقي تأثر بهم فجنح في اخريات أيامه الى اغراض من النظم تخالف أغراضه

الاولى التي كان يعيبها عليه دعاة مدرسة الديوان مما ادى الى اتجاهه الى الرواية الشعرية ، وعدل او كاد عن شعر المناسبات .

هذا وقد كان للتكوين الفكري والأدبي لفرسان مدرسة الديوان خط فريد في ذلك الوقت ، فلم يتأثروا بشعر شوقي وأمثاله من الشعراء التقليديين ، بل كانوا يقرأون الشعر القديم ، ولكل منهم شاعر قديم أو أكثر يقبل على قراءة شعره ويفضله على غيره . اما من حيث التكوين الروحي فان العقاد يرى ان دعاة هذه المدرسة كانوا اصحاب مدرسة لا شبه لها في تاريخ الادب العربي الحديث ، فهي مدرسة أوغلت في القراءة الانجليزية ولم تقتصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي كما كان يغلب على ادباء الشرق الناشئين في اواخر القرن التاسع عشر وكذلك اوغلت في قراءة الأدب الالماني والايطالي والروسي والاسباني واليوناني واللاتيني القديم . ولعلها استفادت من النقد الانجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى ، ولا أخطيء اذا قلت ان « هازلت » هو شيخ هذه المدرسة كلها في النقد لانه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون وأغراض الكتابة ومواضع المقارنة والاستشهاد ، وقد كان الادباء المصريون الذين ظهروا في أوائل القرن العشرين يعجبون بـ « هازلت » ويقرؤنه ويعيدون قراءته يوم كان هازلت مهملاً في وطنه مكروهاً من عامة قومه ، لانه كان يدعو في الادب والنقد الى غير ما يدعون اليه ، فكان الادباء المصريون معجبين به لا مقلدين ولا مسوقين .

ويؤكد العقاد ان المدرسة التي كانت غالبة على الفكر الانجليزي الامريكي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، هي المدرسة التي تتألق بين نجومها اسماء « كارليل » و « جون ستيوارت ميل » و « شيللي » و « بايرون » و « وود زورث » ، ثم خلفتها مدرسة قريبة منها تجمع بين الواقعية والمجازية وهي مدرسة « براونتج » و « تينسون » و « امرسون » و « لـونجفلـوا » و « هاردي » وغيرهم .

لذلك فان مدرسة الديوان لم تتأثر بالجيل الذي سبقها سواء من حيث اللغة او من حيث الروح ويقول « لأن الجيل الناشيء بعد شوقي كان وليد مدرسة لا شبه بينها وبين ما سبقها في تاريخ الادب العربي الحديث .. »

ويقول ايضاً : « ونحن اليوم غيرنا قبل عشرين سنة ، فقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي ، نقلتهم التربية والمطالعة اجيالاً بعد أجيالهم . فهم يشعرون شعور الشرقي ويتمثلون العالم ، كما يتمثله العربي ، وهذا مزاج أول ما ظهر من ثمراته ان نزعت الأقلام الى الاستقلال ورفع الغشاوة والتحرر من القيود الصناعية ، هذا من جهة الاغراض وأما من جهة الروح والهوى فلا يعسر على الفطن البصير ان يلمح مسحة القطوب للحياة في اسرة الشاعر العصري الحديث ، ويتفرس هذا القطوب حتى في الابتسامة المستكرهة التي تتردد بين شفتيه احياناً » .

ويذكر ايضاً العقاد بأن مدرسته لم تتأثر ايضاً بشعر « مطران » ولو عن طريق الوعي الفني . ومطران في نظر العقاد من المجددين ، ولا شك في ذلك ولكنه لا فضل له في تجديد ، لأنه لم يكن يستطيع غيره . والتجديد الذي للانسان فضل فيه هو الذي يقابل في الدعوة اليه العناء كل العناء ، لأنه ينازع فيه موروثاته وعقباته ويتخذ له فيه طريقاً غير الطريق المرسوم له من قبل وجوده .

ويدعي العقاد ، وأنا لا اوافقه الرأي ، بأن مدرسة الديوان قد اثرت في مطران كما اثرت في شوقي من قبله ، وذلك حينما يقول : « ولا بد ان يلاحظ شعراء مصر المجددين بعد جيل شوقي وحافظ ابراهيم ومطران ، كانوا جميعاً من دارسي الانجليزية او دارسي الآداب الاوروبية عن طريق اللغة الانجليزية . ولعل الاثر الذي احدثوه في الثقافة العصرية هو الذي جنح بالاستاذ مطران الى ترجمة شكسبير والعناية به اكثر من عنايته بكبار الشعراء الفرنسيين ، فهو كصاحبه شوقي قد تأثر بثقافة الجيل الناشيء بعدهما في مصر ، ولم يؤثروا فيه » .

ومن ذلك يتضح ان رأي العقاد في مدرسة الديوان انها لم تتأثر بالجيل السابق كما انها اصيلة ليست مقلدة للادب الانجليزي ، وانما المسألة في الالتقاء بينها وبين الأدب الانجليزي مسألة اتفاق في المزاج وفهم لرسالة الشعر والأدب .

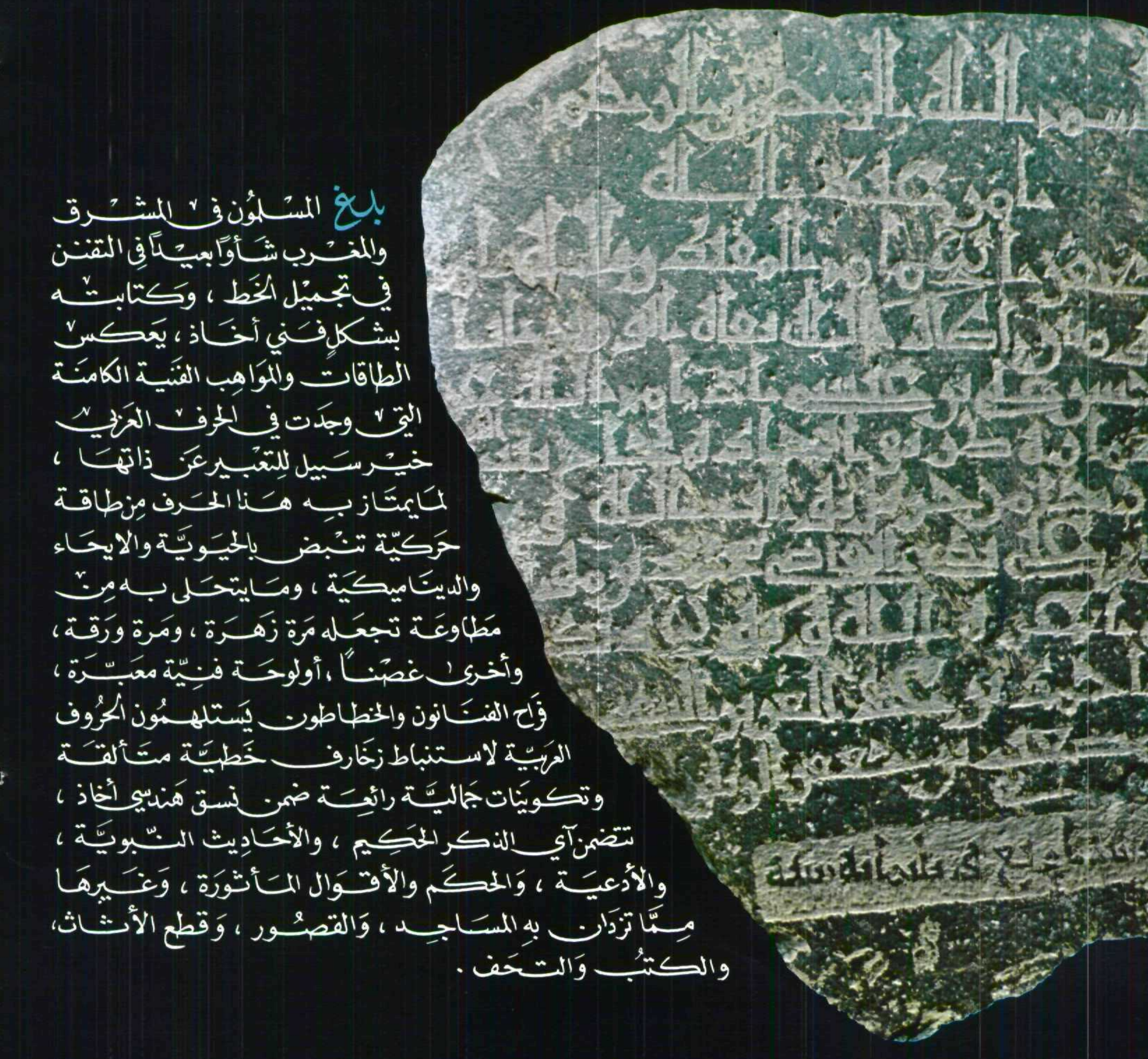
اما عن اهداف مدرسة الديوان فيقول العقاد : « وأوجز ما نصف به عملنا ، ان أفلحنا فيه انه اقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما ، وأقرب ما نميز به اتجاهنا انه اتجاه انساني عربي ، لأنه من ناحية يترجم عن طبع الانسان خالصاً من تقليد الصناعة المشوهة ، ولأنه من ناحية اخرى ثمرة كفاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ، وعربي لأن لغته العربية ، فهو بهذه المثابة ، أتم نهضة ادبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت ، اذا لم يكن ادبنا الموروث في أعم مظاهره الا عربياً بحتاً يدير بصره الى عصر الجاهلية. ولا شك ان مدرسة الديوان استطاعت ان تنتشل الادب العربي بصفة عامة والشعر الغنائي بصفة خاصة من الوهدة التي كان يتردى فيها ، وان تبصر الادباء النقاد بكثير من مواطن الزلل التي لا تدركها موهبة الادباء وحدهم ولا سيما ان النقاد في كثير من الاحيان بطبيعة موهبتهم وعملهم اكثر ثقافة من الأدباء .

هذه مدرسة الديوان التي ملأت الدنيا وغيرت وجه الأدب العربي حتى أضحى مشرقاً وضاء●

غازي زين عوض الله — جدة

الحروف العربيّة

لوحاتٌ فنيَّة متألقة



بدع المسلمون في المشرق والمغرب شأواً بعيداً في التفنن في تجميل الخط، وكتابته بشكلٍ فني أخاذ، يعكس الطاقات والمواهب الفنية الكامنة التي وجدت في الحرف العربي خير سبيل للتعبير عن ذاتها، لما يمتاز به هذا الحرف من طاقة حركيّة تنبض بالحيويّة والايحاء والديناميكيّة، وما يتحلى به من مطاوعة تجعله مرة زهرة، ومرة ورقة، وأخرى غصناً، أو لوحة فنيّة معبّرة، فراح الفنانون والخطاطون يستلهمون الحروف العربيّة لاستنباط زخارف خطيّة متألقة وتكوينات جماليّة رائعة ضمن نسق هندسي أخاذ، تتضمن آي الذكر الحكيم، والأحاديث النبويّة، والأدعية، والحكم والأقوال المأثورة، وغيرها ممّا تزدان به المساجد، والقصور، وقطع الأثاث، والكتب والتحف.

نقش بالكتابة الكوفية القديمة يعود تاريخه الى سنة ٣٠٥ ﻫ ويتضمن أمراً من الخليفة العباسي المقتدر ببناء طريق للحجاج بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

تتجلى سمات الخط العربي في هذه القطعة من كسوة الكعبة المشرفة

الخط

العربي ، هو من روائع الفن الاسلامي ، ومعالم الحضارة الاسلامية . وقد نال من العناية والتقدير ما لم ينله الخط عند أية أمة أخرى ، حتى غدا فناً غايته الجمال ، وأصبح الخطاط فناناً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان . ولمّا كان الدافع الأساسي لهذا الفن هو تخليد كلام الله سبحانه وتعالى في الصحف ، لذا فقد اعتبر أشرف الفنون جميعاً ، واحتل بسببه الخطاطون أرفع مكانة ، حتى كان الخلفاء والأمراء يغدقون عليهم بسخاء . وتحفظ لنا كتب الأدب والتاريخ أسماء عدد من الخطاطين البارزين عبر العصور المختلفة ، بخلاف المهندسين المعماريين وصناع الأواني الفخارية والزجاجية والمعدنية الذين أسدل التاريخ ستاراً على ذكرهم .

هذا ولا يقصد بالخط الكتابة العادية ، وانما يقصد بذلك تجويد رسم الحروف بأشكال وزخارف مختلفة تنم عن ذوق فني رفيع ، وجد فيه المسلمون منفذاً للتعبير عن رغبتهم في ابداع الجمال ، حين كان التعبير عن ذلك بالتصوير وتمثيل الكائنات الحية أمراً مكروهاً من وجهة نظر دينية . فاتجه الفنانون الى تلك الحروف الألاقة ليصنعوا منها زخارف هندسية متشابكة متداخلة آية في الروعة والجمال ، ساعد على ذلك شدة حيوية تلك الحروف ، الناشئة عن مطاوعتها للقلم ، بفضل ما يتوفر فيها من استدارات وتكرارات ذات قيم جمالية بحتة ، فمنها الخطوط المستقيمة ، والمتكسرة ، واللينة ، والمحددة ، والمتماوجة ، والمتقوسة . فلا غرو والحالة هذه ، أن يتخذ الفنانون من هذه الحروف النيرة أدوات طيعة لتظهر في أشكال يحسبها المرء لأول وهلة ، مساجد ، وقبابا ، وسفناً ، وطيوراً ، وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر .

تطور الكتابة العربية والخط العربي

لا بد لنا قبل استعراض اللوحات الخطية الرائعة التي نجدها مبثوثة في الكتب ، وعلى واجهات المساجد ، والمحاريب ، والقباب ، والقصور ، والأواني ، والمنسوجات ، لا بد لنا من الوقوف على نشأة تلك الحروف وتطورها حتى وصلت الى ما هي عليه الآن .

لقد اختلفت الآراء حول نشأة الكتابة وتطورها ، واقربها الى العقل ما أخذ به بعض الباحثين العرب ، ومنهم ابن خلدون الذي عقد فصلاً في مقدمته المشهورة عن الخط والكتابة

حيث قال : « ان الكتابة تعلمها الانسان بفكره واجتهاده ، دعت اليها حاجته الماسة الى تدوين أفكاره حيث نمت مداركه واتسعت دائرة معارفه » . أما متى بدأ الانسان الكتابة على اختلاف صورها وأين ، فذلك أمر لا يزال موضع بحث واستكشاف . ولعل الحفريات الأثرية في الشرق الأوسط الذي يعتبر مهد الحضارات القديمة ، وما يعثر عليه فيها من نقوش قديمة ، سيلقي الضوء على العلاقة القائمة بين تلك النقوش والكتابات ، ويحدد التسلسل الزمني لها . فمن المستشرقين من يقول ان الكتابة نشأت في مصر ، ثم انتقلت الى فينيقيا عن طريق التجارة بين الفنيقيين والمصريين ، ومن فينيقيا انتقلت الى الأنباط فطوروها الى الخط النبطي وهو أصل الكتابة العربية . ومن فصاحة واتساعاً . وقد جرت العادة أن تقسم اللغات السامية الى اللغات السامية الشمالية وهي : الأشورية ، والآرامية ، والكنعانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، واللهجة التي ظهرت في ألواح تل العمارنة وتضمنت المراسلات التي تبادلها الأقيال الفلسطينيون وملك مصر « امينوفيس » الرابع في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، واللغات السامية الجنوبية وهي : العربية بفرعها الشمالي ومنه العربية الفصحى ولهجاتها الحية المتعددة وفرعها الجنوبي أي الحميري والسبئي والمعيني ، والحبشية الجيزية وفروعها .

لقد اتضحت لنا معالم الكتابة العربية القديمة من النقوش التي عثر عليها في أماكن مختلفة وأهمها « نقش النمارة » ويعود تاريخه الى سنة ٣٢٨ للميلاد ، والنمارة من أعمال على شيء فإنما تدل على مستوى الرقي الذي بلغته الكتابة والنقش في العصر الجاهلي . هذا وقد عثر العلماء على عدد كبير من النقوش في جنوبي بلاد العرب وفي المنطقة الشمالية التي تمتد من العلا ومدائن صالح الى شمالي حوران . أما ما يرجع منها الى الجنوب فقد عثر على ما يربو على سبعة آلاف نقش تتصل بالمعينيين ، والسبئيين ، والقتبانيين ، والحميريين ، وغيرهم ، وهذه النقوش بعيدة عن الخط العربي المعهود . أما ما يرجع الى لهجات الشمال ، فقد عثر على نقوش لحيانية وثمودية وصفوية . وادارة الآثار بالرياض تقوم حالياً بالبحث والتنقيب عن النقوش والمخلفات الاثرية في أرجاء المملكة العربية السعودية ، الأمر الذي سييسر للباحثين واللغويين تتبع مراحل تطور الكتابة والخط العربي .

جاء الإسلام فازدهر الخط العربي

كانت الكتابة شائعة في العصر الجاهلي ولاسيما في الحواضر ، وقد أشار القرآن الكريم الى انتشار الكتابة والقراءة في ذلك العهد . وجدير بالذكر ان عدداً من أبناء العربية كانوا يجيدون قراءة عدة لغات أجنبية وكتابتها ، ومن أولئك « عدي بن زيد العبادي » الذي أتقن الخط الفارسي وصار أفصح الناس وأكتبهم بالعربية والفارسية ، ثم انتقل الى بلاد فارس فأصبح كاتباً بالعربية ومترجماً في ديوان كسرى ، و « زيد بن ثابت » الذي أمره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بتعلم العبرانية ، وورقة بن نوفل وغيرهم . أما أدوات الكتابة والقراءة حينذاك فكانت الجلد وكانوا يسمونه « السرق » و « الاديم » و « القضيم » ، والقماش الحريري أو القطني ويسمونه « المهرق وجمعها مهارق » ، والعسيب أو جريدة النخل ، وعظام الكتف والأضلاع والحجارة ، وما شابه ذلك ، وكانوا يستعملون في كتابتهم قلم القصب والدواة والمداد .



صفحة من القرآن الكريم ينعكس فيها فن الخط العربي والزخرفة الأنيقة .

فينيقيا تعلم اليونانيون الكتابة وطوروها الى الكتابة اللاتينية .

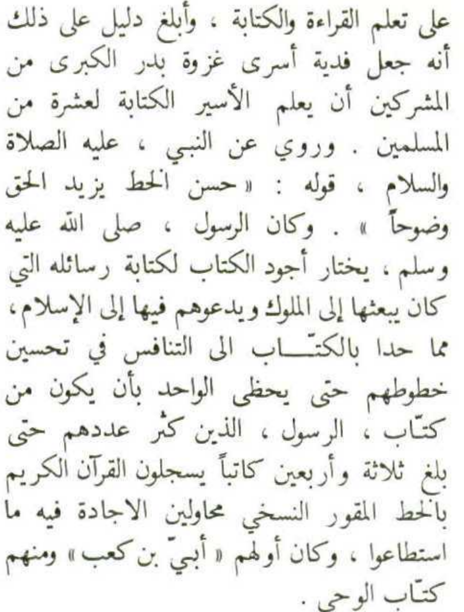
بيد أن هناك فريقاً آخر من العلماء والباحثين اللغويين يرون أن الكتابة نشأت في اليمن . حيث تعلمها الحميريون ونقلها عنهم المناذرة الذين بدورهم علموها لقريش . ومهما يكن من أمر فان اللغة العربية هي احدى اللغات السامية التي نشأت ، في رأي غالبية المحققين والباحثين ، في جزيرة العرب ، وهي أقرب تلك اللغات إلى اللغة السامية الأم ، وأرقاها وأكثرها حوران . وهذا النقش مكتوب بحرف قريب من الحرف النبطي . وكلماته ذات صورة تشبه الى حد كبير صورة الخط العربي الذي نجده في العهد الاسلامي . كما عثر على نقشين آخرين وجد أحدهما في خرائب « زبد » بين قنسرين والفرات شرقي مدينة حلب ، ووجد الآخر في « حران اللجأ » في المنطقة الشمالية من جبل العرب بسوريا . والحروف العربية في النقشين هي بمثابة صلة الوصل بين الخط النبطي والخط العربي الكوفي . وهذه النقوش ان دلت

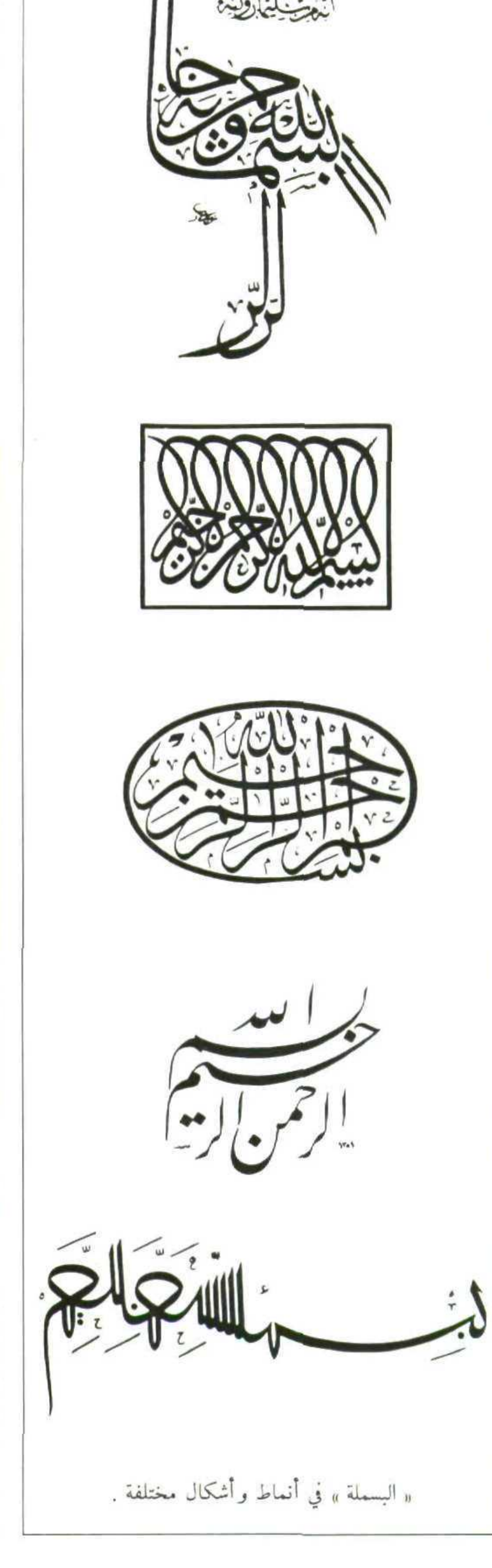
وجاء الاسلام فجمعت اللغة العربية بين رسالة السماء ورسالة الأرض حين اختارها الله سبحانه وتعالى لساناً لوحيه ووعاء لكتابه المجيد ، فكرمها وأعلى شأنها وضمن لها الحفظ والبقاء ، اذ قال تعالى **« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين »** . وانتشر الخط العربي في الجزيرة العربية وخارجها وأخذ يتطور ويرقى حتى أصبح يعرف بالخط الاسلامي . وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم ، منذ البداية على الحث

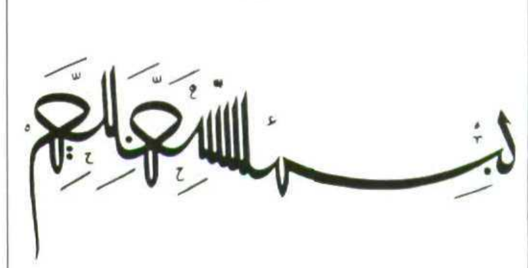


اناء نحاسي يزدان بكتابات زخرفية بديعة .

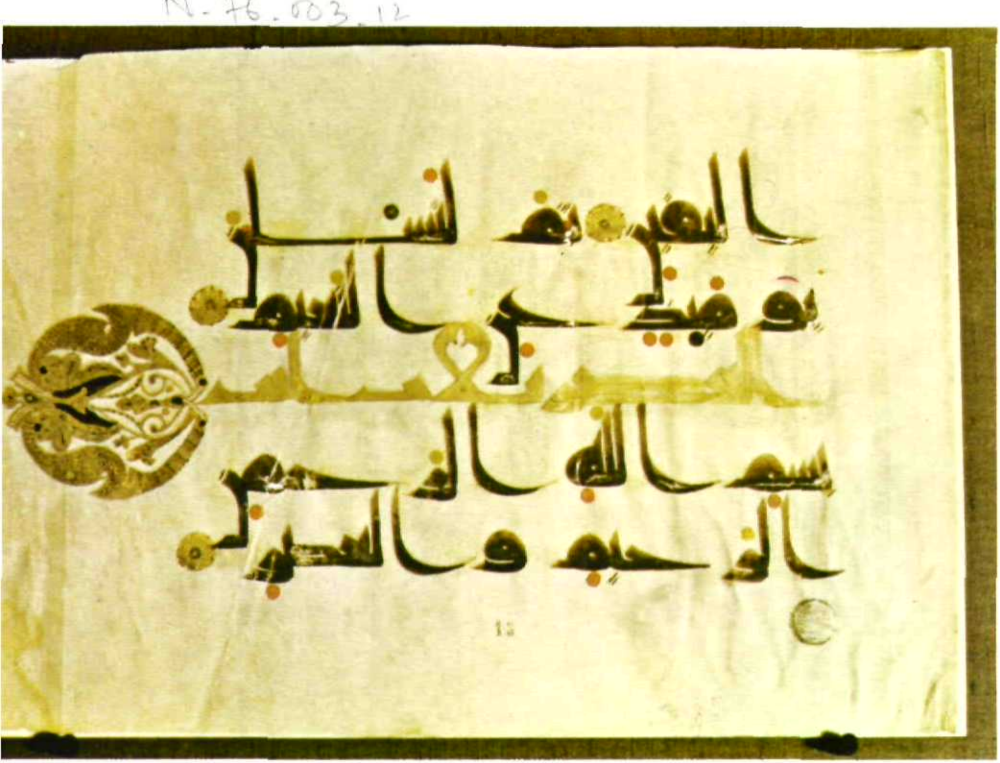
على تعلم القراءة والكتابة ، وأبلغ دليل على ذلك أنه جعل فدية أسرى غزوة بدر الكبرى من المشركين أن يعلم الأسير الكتابة لعشرة من المسلمين . وروي عن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، قوله : « حسن الخط يزيد الحق وضوحاً » . وكان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يختار أجود الكتاب لكتابة رسائله التي كان يبعثها إلى الملوك ويدعوهم فيها إلى الإسلام ، مما حدا بالكتّـــاب الى التنافس في تحسين خطوطهم حتى يحظى الواحد بأن يكون من كتّاب ، الرسول ، الذين كثر عددهم حتى بلغ ثلاثة وأربعين كاتباً يسجلون القرآن الكريم بالخط المقور النسخي محاولين الاجادة فيه ما استطاعوا ، وكان أولهم « أبيّ بن كعب » ومنهم كتّاب الوحي .







« البسملة » في أنماط وأشكال مختلفة .



صفحة من القرآن الكريم بخط قديم محفوظة في المتحف البريطاني .

مدارس الخط العربي وأساليبه

مع اتساع رقعة الاسلام أصبح للخط العربي مراكز داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ليس ذلك فحسب ، بل سلك نسّاخ كل بلد طريقة خاصة في الكتابة تتميز عن غيرها . فالخط المكّي نسبة الى مكة ، والخط المدني نسبة الى المدينة ، والكوفي ، والبصري ، والاصفهاني ، والعراقي ، والقيراموز الذي تولد منه الخط الفارسي وهكذا . ولعل الكوفة التي



بنيت سنة ١٧هـ كانت أشهر مراكز الخط الاسلامي ، اذ انتشر الخط الكوفي وأصبح المسلمون يستعملونه في الكتابة على المنابر والمحاريب والقباب ، وفي كتابة المصاحف وعلى النقود ، ولا يزال هذا الخط يعتبر من السمات البارزة لجمال الفن الاسلامي . وقد ازدهر الخط العربي بأساليبه المتعددة ومدارسه المختلفة في العصر الأموي ، وبلغ الذروة في العصر العباسي ، حتى أصبح أشرف الفنون ، بفضل تشجيع الخلفاء ، فبرز خطاطون مرموقون منهم « قطبة المحرر » ، و« الضحاك » ، و«ابن مقلة » ، و« ابن البواب » ، وغيرهم حتى ضرب بهم المثل في ابداع الخط ، فهذا شاعر يقول متندراً :



هذا الفيل الذي تشاهده ساعدت الحروف العربية على تشكيله .

فصاحة حسّان وخط ابـن مقلـة
وحكمـة داوود وزهـد ابن أدهـم
اذا جمعت بالمـرء والمـرء مفلس
ونـودي عليه ، لا يبـاع بدرهـم

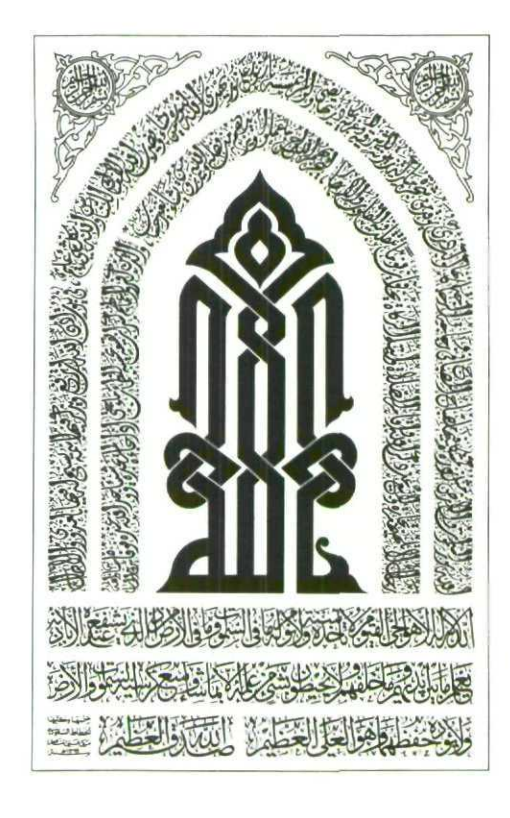
ومع تفنن الكتّاب ، وتنوع ضرورات الحياة ، وتغير الزمن ، ظهرت أنواع مختلفة من الخط منها : الثلث ، والكوفي بأنواعه ، والنسخي كأحرف الطباعة ، والرقعي كخط الكتابة العادية ، والديواني بأنواعه (وكانت تكتب به المراسيم السلطانية) ، والفارسي ، والتعليق ، والطومار ، والجلي وغيرها . ولكل نوع من هذه الخطوط قواعده وآدابه وأسلوبه . وبعد أفول نجم بغداد عقب الغزو التتري ، انتقل الخط الى مصر حيث نما وازدهر على أيدي فنانين مبدعين ، وخاصة في عهد الخلفاء الفاطميين ، الذين كانوا يميلون الى الترف والزينة والتجميل ، فزينوا بالخط قصورهم ومساجدهم وتحفهم . ثم انتقل الخط في العهد العثماني الى تركيا حيث أصبحت استانبول مناراً للشرق وموئلاً للخطاطين الممتازين أمثال يساري أفندي ، ومصطفى راقم ، والحافظ عثمان ، وعبدالله زهدي وغيرهم ممن لا تزال آثارهم الفنية نماذج رائعة تعكس سمات الجمال والتنسيق . واليوم يمكن مشاهدة هذه الروائع الخطية في أماكن كثيرة في تركيا وخاصة في استانبول وقونيا وأدرنة حيث تزدان المساجد والمتاحف بروائع الخط العربي . فقد ازدهر الخط هناك ازدهاراً عظيماً ، حتى أقبل عليه سلاطين آل عثمان ومنهم السلطان محمود الثاني ، الذي كان يعتبر من أئمة الخطاطين . وبعد أن تبنت تركيا الحروف اللاتينية ، عاد الخط العربي الى مصر والبلدان العربية ليجد من يتعهده ويعتني به كفن من ارفع الفنون سيما وأن هناك من الفنانين المحدثين أمثال الدكتور يوسف سيده ، وكمال السراج ، وسامي رافع ، وعمر النجدي ، والبشير الجلجلي ، وغيرهم ، ممن وجدوا في الحروف العربية معيناً لا ينضب من الجمال ، لابداع لوحات خطية رائعة في اطار من الفن التجريدي الحديث والصيغ التشكيلية المبتكرة .



احتفى القرآن الكريم بأهمية القراءة والكتابة في مواضع كثيرة . فمنها قوله جل وعلا : **« ن . والقلم وما يسطرون »** وقوله سبحانه وتعالى : **« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . »** وعليه فقد انصب اهتمام المسلمين منذ عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على تجويد كتابة القرآن الكريم ، والتفنن في الخط أكثر من أي شيء آخر . وقد استأثرت البسملة بالنصيب الأوفر من عناية الخطاطين فظهرت مكتوبة بأنماط متعددة تدل على براعة هؤلاء الفنانين . فنراها أحياناً تتخذ أشكالاً هندسية متنوعة حتى ليستعصي على المرء قراءتها ، وكثيراً ما نراها محفورة على الأواني النحاسية والزجاجية ، أو منقوشة على الحجر تزدان بها المحاريب والقباب والمآذن ، أو نراها مطرزة على قطع من القطيفة أو الحرير . كما اهتم الخطاطون بالتفنن بعبارات أخرى تمجد اسم الله مثل « ان شاء الله » و « ما شاء الله » و « الحمد لله » ، بالاضافة الى الشهادتين وآيات مختارة من كتاب الله الكريم .



الحروف العربية بما تمتاز به من مطاوعة تساعد الفنان على رسم أشكال مختلفة بها .





تألق الحروف العربية يتجلى في هذه اللوحة الخطية الفريدة .

الطغراء التي اشتهر بها الخطاطون في عهد سلاطين آل عثمان .

١ – ٣ – ثلاثة انماط مختلفة من الخط العربي كتبت بها الآية الكريمة : «فبأي آلاء ربكما تكذبان»

٤ – قطعة من كسوة الكعبة المشرفة مزدانة بالآيات القرآنية الكريمة كتبت بخط عربي جميل .

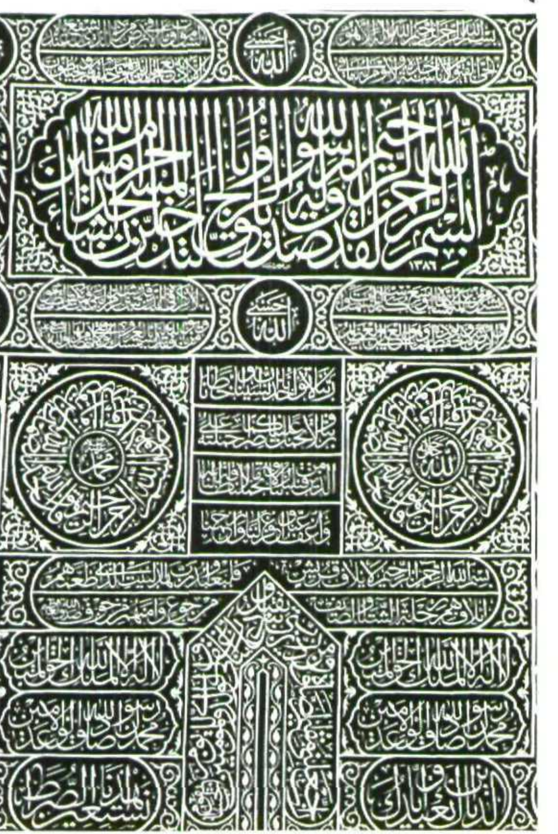
٥ – احدى القصائد العربية المشهورة مكتوبة بخط فني.

٦ – لوحة زخرفية بديعة جمعت أسماء الصحابة العشرة المبشرين بالجنة .

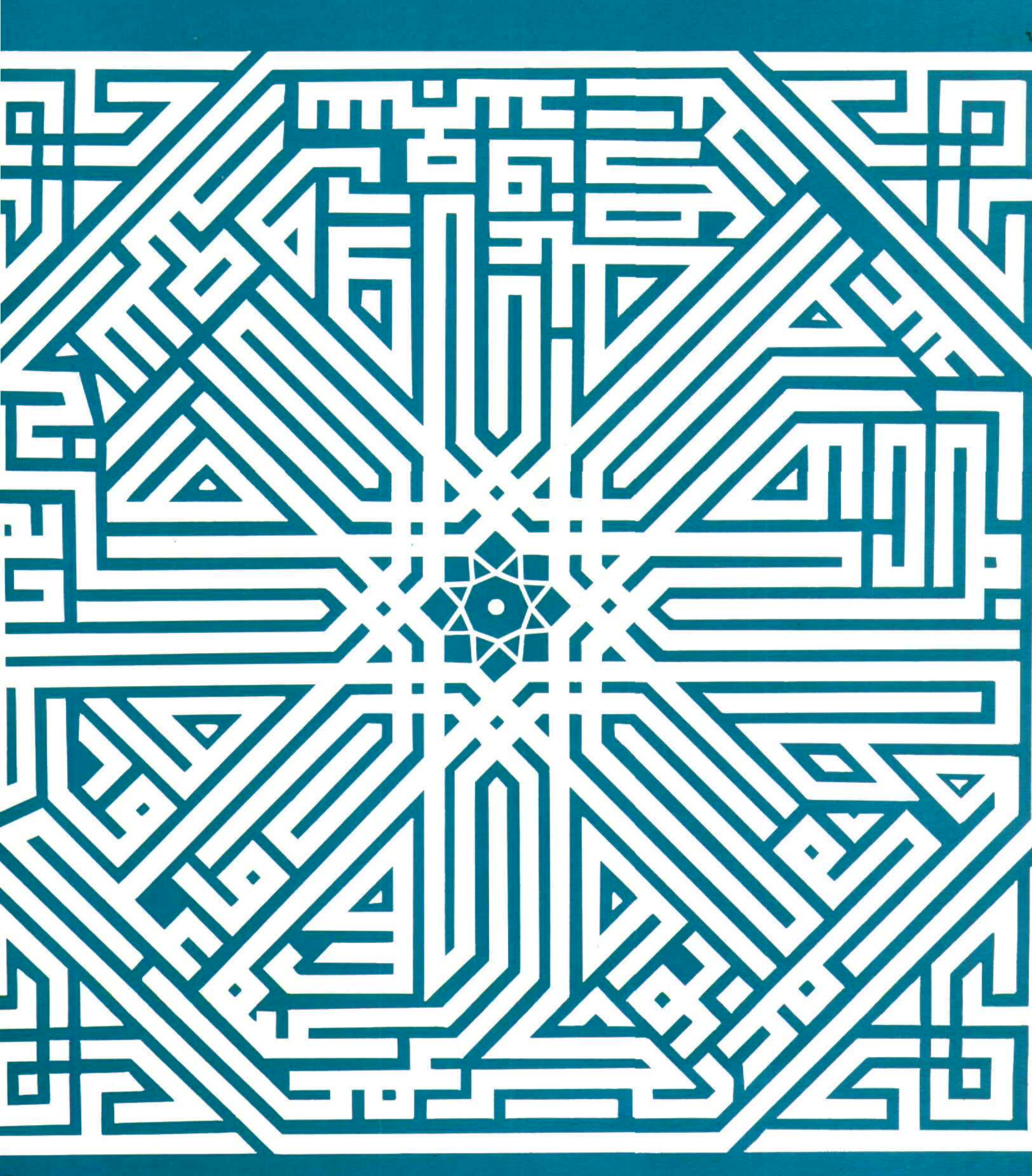




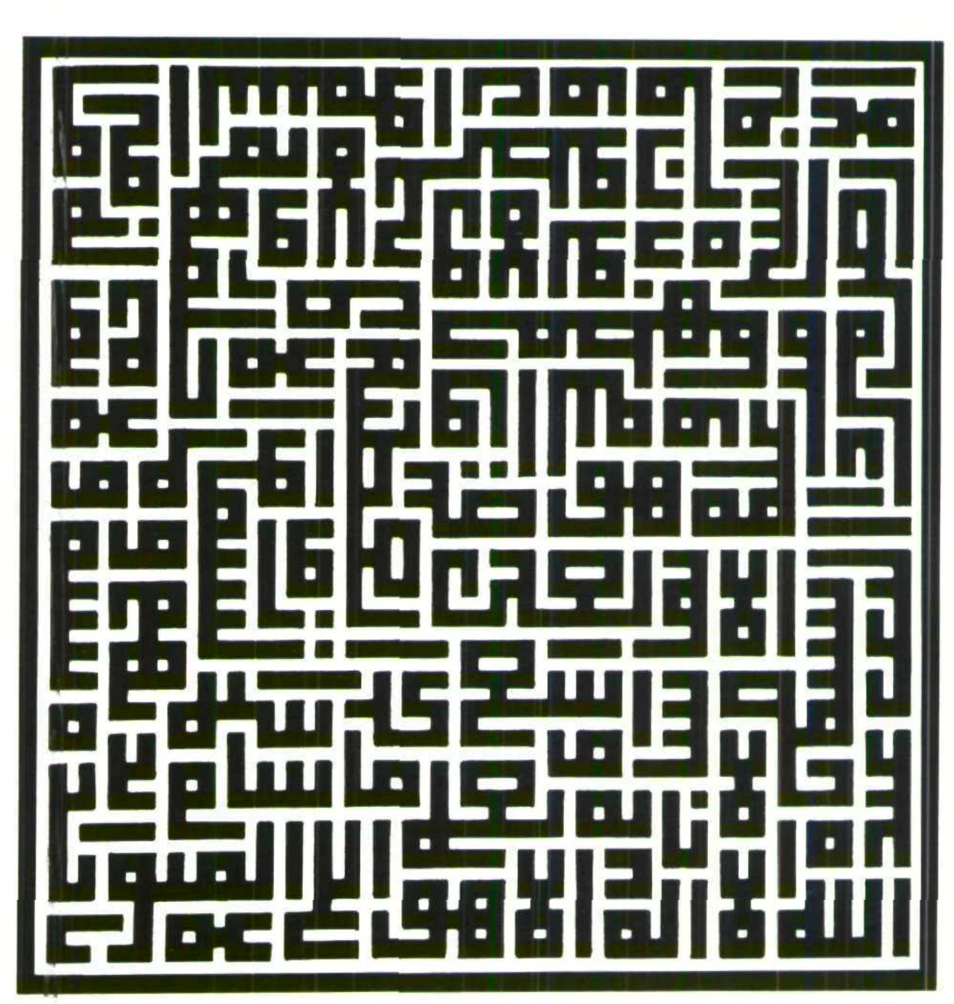










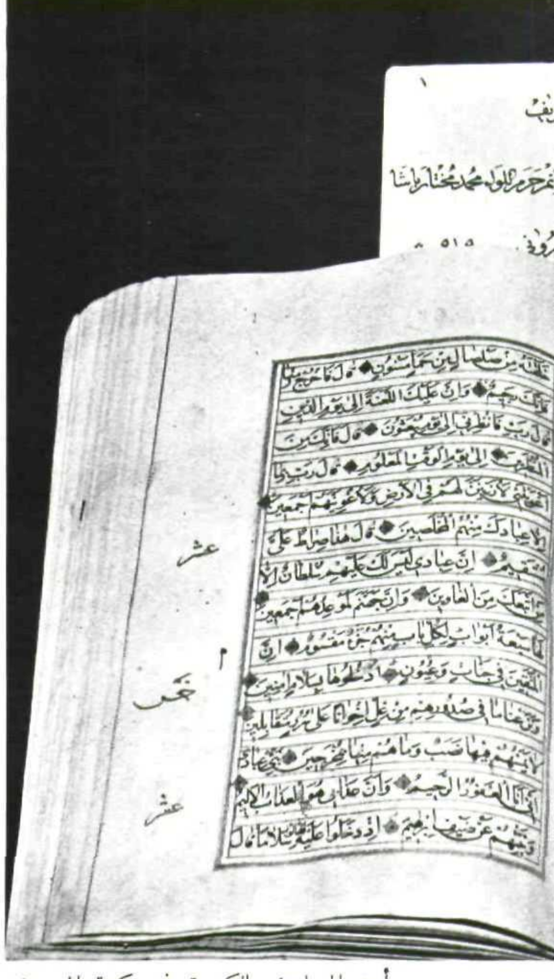


هذه اللوحة تعتبر من روائع فن الكتابة بالخط الكوفي فقد جمعت « آية الكرسي » بأسلوب جميل دقيق .





صورة للرسالة التي أرسلها النبي، صلى الله عليه وسلم، الى المنذر بن ساوي والي البحرين يدعوه فيها الى الاسلام وهي تعكس الكتابة العربية في صدر الاسلام .



أحد المصاحف الكبيرة في مكتبة المصحف الشريف في المسجد النبوي بالمدينة المنورة .



نماذج مختلفة من خطوط المصاحف كما هي معروضة في مكتبة المصحف الشريف في المسجد النبوي بالمدينة المنورة .

الفنانون الغربيون يستلهمون الحروف العربية

ينعكس اهتمام الغرب بالفنون الاسلامية عامة وفنون الخط العربي خاصة في العديد من المؤلفات القيمة التي صنفت في شتى العصور ، وكذلك في اللوحات النادرة والتحف الأثرية الفريدة التي تزدان بها المتاحف والمراكز الاسلامية في كثير من البلدان الأوروبية والأمريكية . ولعل أبرز دليل على اهتمام الغرب بالفنون الاسلامية ، هو ذلك المهرجان الاسلامي ، الذي نظم في لندن في شهر أبريل ١٩٧٦ . وقد استغرق الاعداد له نحو ثلاث سنوات ، فجاء خير شاهد على ما بلغه المسلمون من تقدم حضاري في عهودهم الزاهرة في مختلف المجالات العلمية ، والثقافية ، والهندسية ، والموسيقية ، والفنية . فقد خصص في المعرض جناح خاص للكتب واللوحات المتعلقة بالتراث الاسلامي العريق . فكتاب الفنون الاسلامية مثلاً يحتوي على أكثر من مائتي صورة ملونة جمعت من مختلف أقطار العالم الاسلامي ووضعت لها شروح تبين وحدة الفن الاسلامي وتناسقه على امتداد رقعة البلاد الاسلامية . كما عرض كتاب آخر عن الخطوط العربية المموهة بالذهب والفضة ، يحتوي على نماذج رائعة لفن الخط العربي عبر التاريخ الاسلامي ، باعتباره أحد الفنون القيمة الغنية بالصفات الجمالية الرفيعة .

أما تأثير الخط العربي كعنصر زخرفي ، في الغرب ، وخاصة في أوروبا ، فقد ظهر منذ القرن الثامن الميلادي نتيجة للاحتكاك المباشر بالحضارة الاسلامية . وأكثر ما نجد هذا التأثير واضحاً في صقلية وايطاليا واسبانيا وفرنسا ، حيث استخدم بعض ملوك تلك البلدان كتابات عربية على مسكوكاتهم وملابسهم . ولقد كان الفنان « جيوتو » في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي من أوائل الفنانين الاوروبيين الذين استخدموا الخط العربي في لوحاتهم الفنية ، ثم تبعه كثيرون من الفنانين والرسامين أمثال « بيزانلو » الايطالي ، و « هانز هولباين » الألماني . ولم تلبث الحروف العربية بتناسقها البديع وأشكالها الألاقة أن اجتذبت في مستهل هذا القرن فنانين أوروبيين وأمريكيين آخرين ، اذ استخدموها في ابتكار تشكيلات زخرفية فريدة ، ولا تزال هذه الحروف الطيعة مصدر الهام لكثير من الفنانين الغربيين المعاصرين .

مكتبة المصحف الشريف متحف للخطوط

ان مكتبة المصحف الشريف بالمدينة المنورة تعتبر من مفاخر مدينة الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، فهي تضم مجموعات كثيرة من المصاحف الخطية النادرة القديمة للقرآن الكريم . وتحتل هذه المكتبة الفريدة ركناً خاصاً من المسجد النبوي الشريف ، وفيها يستطيع الزائر ان يقف على نماذج متنوعة لأنماط الخطوط العربية فضلاً عن تطور الخطوط عبر القرون ، الى جانب الوقوف على أساليب تزيين وتلوين الكتابة واستخدام الذهب والفضة ، وما الى ذلك من الطرق الفنية المرموقة . وفي مقال قيم (١) كتبه الشاعر الأديب « محمد عيد الخطراوي » من أبناء المدينة المنورة ، عن مكتبة المصحف الشريف ، يصف لنا بعضاً من هذه المصاحف والخطوط التي كتبت فيها . فأقدم المصاحف في المكتبة مكتوب على الورق ويرجع تاريخه الى عام ٥٤٩ هـ بخط أبي سعيد محمد بن اسماعيل ابن محمد . أما أقدم مصحف فيها مكتوب على رق الغزال ، فيرجع تاريخه الى ٦٧٨هـ ، وهو مصحف متوسط الحجم كتبه بخط مغربي ، الخطاط عبد الله محمد بن سعد بن علي بن سالم الخزرجي . أما من حيث الحجم فان أكبرها مصحف ضخم مكتوب على رق الغزال يرجع تاريخه الى ١٢٤٠هـ كتبه الخطاط الهندي غلام محي الدين ، ويزن هذا المصحف ١٥٤ كيلوغراماً ومساحته ١٤٥X ٨٠ سنتيمتراً وجلده مبطن بالقطيفة وصفحاته مزينة بالذهب ، وله قفل يقفل به . والى جانب المصاحف الشريفة التي يناهز عددها الألفين ، توجد لوحات خطية أهديت لتزيين جوانب المسجد النبوي الشريف بها ، منها أربع لوحات فريدة كتبت بخط بعض السلاطين ، مثل السلطان محمود والسلطان عبد المجيد وذلك بالخط الثلث الجلي ، بالاضافة الى لوحات اخرى ثمينة لمشاهير الخطاطين .

وبعد ، فان الحروف العربية لا تزال وستبقى الى ما شاء الله مصدراً وفيراً لأخيلة الفنانين المجنحة ، ليبدعوا لنا لوحات فنية متألقة ، تشهد على عظمة لغة القرآن الكريم وحروفها النيرة .

سليمان نصر الله / هيئة التحرير

---

(١) « مجلة الفيصل » العدد الثاني – السنة الأولى – شعبان ١٣٩٧ هـ ، (يوليو / ١٩٧٧) .


مرض الكزاز
بقلم: الدكتور هشام محمد الناظر

«التيتانوس»

الطفل بطبيعته يميل الى ممارسة اللعب . وقد يتعرض هذا الطفل أثناء ذلك للاصابة بجروح مختلفة قد ينشأ عنها ، اذا ما أهملت أو تركت دون علاج ، مرض خطير قد يهدد حياة الطفل . فالقليل من الآباء والأمهات يدرك خطورة هذا المرض الذي يعرف بمرض الكزاز . لهذا وجدنا أنه من الضروري أن نستعرض في هذه العجالة أبعاد هذا المرض الخطير لنقف على بعض حقائقه وطرق الوقاية منه .

ماهو مرض الكزاز ؟ «التيتانوس»

Tetanus

انه مرض خطير يصيب الانسان منذ الولادة حتى الشيخوخة ، وتسببه جرثومة تسمى « عصية الكزاز — Clostridium Tetani » ، وذلك نتيجة لتلوث الأدوات أو الضمادات الموضوعة على سرة الوليد . وهذه الجرثومة تفضل التواجد والتكاثر بعيدة عن الأكسجين والهواء Anaerobic ، فهي تعيش في التربة وفي أمعاء الانسان والحيوان دون أن تسبب أي أذى الا في الظروف المناسبة بحيث تفرز انواعاً مختلفة من « السموم — Toxins » وهذه السموم تؤثر تأثيراً بالغاً على خلايا الدم عند « الانسان المصاب—Lysin Tetanospasmin » ومن ثم تؤدي الى مضاعفات .

أما بالنسبة للبالغين فان اصابتهم بهذا المرض تحدث عن طريق دخول الجراثيم الى الجروح وخاصة الكبيرة منها أو الملتهبة ، وقد تحدث الاصابة بالكزاز نتيجة لمضاعفات أي جرح واحياناً نتيجة لعملية جراحية . ويمكن أن يصاب الانسان بهذا المرض عن طريق الجروح الطفيفة اذا لم تحظ بالعناية الطبية السريعة . ولذا فان أكثر الناس عرضة للاصابة بمرض الكزاز هم أولئك الذين يفتقرون الى المناعة ضد هذا المرض حيث تفرز الجراثيم سمومها التي لا تقل في فعاليتهـا عن فعالية مـادة الستريكنين — Strychnine السامة . وتسري هذه السموم في الجسم المصاب عن طريق الدورة الدموية لتصل الى الجهاز العصبي . واذا ما استقرت هذه السموم في الجهاز العصبي المركزي فان ازالة أثر هذه السموم على الجسم كله تصبح أمراً متعذراً ، في حين يمكن تحقيق ذلك في المراحل الأولية للمرض أي قبل وصول هذه السموم الى الجهاز العصبي .

لمحة تاريخية عن مرض الكزاز

عرف مرض الكزاز منذ قديم الزمان . فقد ذكر اسمه في سجلات علماء الأغريق منذ قرون عديدة حيث اعتبروه من الأمراض الخطيرة التي تصيب غالباً المواليد الجدد وجرحى الحروب . ففي القرن الثامن عشر بلغت نسبة الوفيات نتيجة لكزاز الوليد حوالي ١٦ في المئة في أحد مستشفيات ايرلندا . وفي عام ١٨٨٤ تمكن العالمان « كارل وراتوني — Carle & Rattone » من نقل المرض مخبرياً من انسان مصاب بالكزاز الى الأرانب . كما نجح العالم « نيكوليير — Nicolaier » أيضاً في نقل المرض نفسه الى الحيوانات عن طريق حقنهم بتراب ملوث بهذه الجرثومة . وقد تمكن هؤلاء العلماء ، بعد أعوام قليلة من عزل الجرثومة على مستنبت مناسب والتأكد من أنها تفرز سموماً معينة .



التشنجات والتصلب في عضلات الرقبة من اعراض مرض الكزاز

وفي عام ١٨٩٠ نجح العالمان « بهرنج وكيتاساتو — Bahring & Kitasato » في تلقيح بعض الحيوانات بالمصل الواقي من مرض الكزاز عن طريق اعطائها كمية صغيرة من سموم تلك الجرثومة ، وأثبتا بعدها أن تلك الحيوانات قد كونت أجساماً مضادة لهذه السموم تقيها من الاصابة بالمرض المذكور اذا ما تعرضت له .

أما لقاح « التيتانوس » الذي يقي الانسان من الاصابة بهذا المرض اذا ما تعرض لجرثومته ، فقد نجح في اكتشافه العالم « رامون —Ramon » في عام ١٩٢٣ .

ومن الجدير بالذكر أن مرض « الكزاز » منتشر في البلاد النامية وفي المناطق التي تفتقر الى التوعية الصحية . كما وتزداد نسبة حدوث الكزاز لدى الوليد في مثل هذه الظروف ، وكذلك لدى عمال المزارع والحقول الذين يمشون في معظم الاوقات حفاة الأقدام .

ولقد قـــدر معدل الاصابات بمرض « التيتانوس » خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥١ و ١٩٦٠ بحوالي مليون اصابة ، نصفها أدى الى الوفاة . ولعلها نسبة عالية اذا

ما قيست بنسبة الوفيات الناجمة عن الأمراض الأخرى المعروفة كالسعال الديكي وشلل الأطفال وغيرهما .

وبادراك الانسان لخطورة هذا المرض وأعراضه وطرق الوقاية منه ، قلّت نسبة الاصابة بمرض « التيتانوس » في الولايات المتحدة حيث بلغت حوالي اصابة واحدة بين كل مليون مواطن في السنة .

أعراض مرض الكزاز

يمر مرض الكزاز بفترة حضانة تتأثر مدتها بعوامل مختلفة منها ، موضع الجرح وطبيعته ، وعدد الاصابة بالجراثيم ، بالاضافة الى درجة المناعة عند الشخص المصاب . وتتراوح فترة الحضانة بين ثلاثة أيام وثلاثين يوماً ، وفي الغالب بين سبعة وعشرة أيام . وقد ثبت علمياً أنه كلما قصرت فترة الحضانة ساءت حالة المرض .

ومن أعراض مرض الكزاز البدائية ، حدوث تشنجات في الوجه أو ما يسمى علمياً باسم « الضزز — Trismus » (١) مصحوبة بآلام مع تصلب في الرقبة والظهر والبطن ، وتشنجات متقطعة في عضلات الفك مما ينتج عنه أحياناً صعوبة في المضغ أو البلع . وبعد ساعات من ظهور هذه الأعراض تظهر على المصاب ظاهرة « الضحك الصفراوي أو الساردوني — Risus Sardonicus » . وتشتد حدة الآلام المتقطعة والتشنجات لدى الطفل المصاب نتيجة لأي نوع من أنواع الاثارة كاللمس او الصوت المزعج ، أو الضوء المباشر .

تشخيص المرض

قلما يتوقف تشخيص المرض على الفحص المخبري حيث يبدأ العلاج في العادة قبل ظهور نتائج الفحص المخبري ، بل يعتمد اعتماداً كلياً على نتيجة الفحص العيادي السريري المدعم بجدول اللقاحات السابقة التي تعاطاها المريض .

أما بالنسبة لفحص السائل النخاعي أو تخطيط الدماغ أو غيرهما من التحاليل ، فغالباً ما تكون نتائجها غير مؤكدة تماماً للتشخيص .

كزاز الوليد

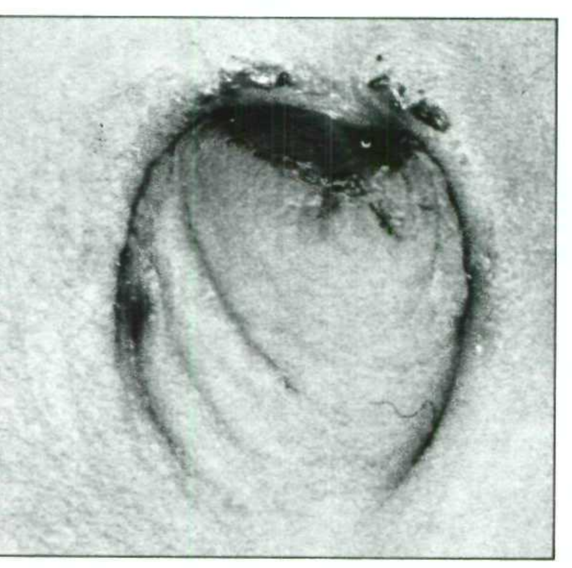
Tetanus Neonatorum

يعتبر هذا المرض من الأمراض الخطيرة القاتلة التي تعاني منها البلدان المتخلفة نظراً لافتقارها الى التوعية الصحية والاشراف الطبي السليم على عمليات الولادة . فبينما نجحت البلدان المتقدمة في القضاء على هذا المرض نجد أن نسبة الاصابات بهذا المرض في بعض البلدان النامية تشكل حوالي ٨ في المئة بين المواليد الجدد .

وتتم هذه الاصابة عن طريق تلوث السرة بـ « جرثومة الكزاز — Clostridium Tetani » وذلك بسبب استخدام أدوات ملوثة بهذه الجرثومة عند الولادة . وبعد ان تستقر الجراثيم المسببة لهذا المرض في مكانها وتمر بفترة حضانة كاملة تستمر بين ثلاثة أيام وأربعة عشر يوماً أو أكثر ، فانها تفرز سمومها عن طريق الجهاز العصبي أو الليمفاوي مسببة فيما بعد أعراض المرض الخطير .

ومن أعراض المرض البدائية عند الوليد ، الصعوبة في الرضاعة مع تصلب في الشفة العليا تعقبها أعراض التشنج العام والتصلب في الجسم كله وخاصة في عضلات الوجه حيث تظهر علامة « الضحك الساردوني — Risus Sardonicus » ، ومن ثم تشتد حدة التصلب بحيث ينتج عنه تقوس في الظهر والرأس وتشنج في الأطراف خاصة اذا ما أثيرت حواس الطفل بالحركة أو الرضاعة أو الضوء المباشر . كما تتصلب عضلات البطن وتصعب محاولة فتح الفم — Lockjaw . كما تظهر علامات التشنج في الوجه يرافقها ازرقاق متقطع أو مستمر مما قد يؤدي الى عدم انتظام التنفس لدى الطفل وربما الى اختناقه . وقد تزيد الافرازات أحياناً حول الفم مما ينتج عنه التهاب رئوي وارتفاع في درجة الحرارة .

«كزاز الوليد» حيث التشنج العام وخاصة في عضلات الوجه



«السرة» التي عن طريقها دخلت الجراثيم مسببة كزاز الوليد

ماهو العلاج

يحتاج علاج مرض الكزاز الخطير الى تعاون كامل بين الطبيب المعالج والممرضة المشرفة على المريض مع توفير سبل الوقاية اللازمة ، حيث يعزل المصاب بمرض الكزاز في غرفة هادئة بعيدة عن الازعاج والضوء المباشر لتقليل نسبة حدوث التشنجات ، كما يعطى المريض أنواعاً من المسكنات ، بالاضافة الى أدوية معينة للتخفيف من حدة تصلب العضلات وتشنجها — Muscle relaxant ، واكثار السوائل واعطاء الغذاء المناسب لعمر المريض وحالته وذلك عن طريق الوريد أو بأنبوب عن طريق الأنف .

ثم يعطى المريض حقنة من الفلوبيولين المضاد للكزاز — Human Tetanus Immunoglobnlin، في العضل ، قوتها خمسة عشر ألف وحدة ، واذا لم يتوفر ذلك فيمكن اعطاؤه ٨٠ الى ١٠٠ ألف وحدة من المصل المضاد للكزاز — Horse Serum وهو أقل فعالية من سابقه .

ويعتبر البنسلين من وسائل العلاج الأخرى لمرض الكزاز . أما اذا كانت لدى المريض حساسية للبنسلين فيستبدل بالتراسيكلين ، كما تجب معالجة الجروح التي دخلت عن طريقها هذه الجرثومة اذ أن العلاج الفعال لهذه الجروح هو من أهم سبل العلاج لمرض الكزاز ولاسيما في مراحله الأولى مهما صغر الجرح أو كبر . ويحقن كذلك جزء من الفلوبيولين المضاد للكزاز حول الجرح او حول السرة في حالة كزاز الوليد مع العناية اللازمة بالسرة ونظافتها .

سبل الوقاية من هذا المرض

تتلخص هذه السبل بالنقاط التالية :

• العلاج الفعال لكافة أنواع الجروح صغيرة كانت أم كبيرة باعتبارها الطريق الرئيسي لدخول هذه الجراثيم الى جسم الانسان المعرض للاصابة والذي يفتقر الى المناعة ضد هذا المرض .

• اذا اصيب شخص بجروح فمن الضروري اعطاؤه الفلوبيولين المضاد للكزاز ، واذا ما ثبت أنه لم يسبق له أن طعم ضد مرض الكزاز وجب تطعيمه حالاً على أن يتبعه تطعيم آخر بعد شهر .

• أما اذا كان المريض قد أعطي جرعة غير كاملة ضد الكزاز فانه يجب اعطاؤه جرعة تقوية بعد شهر واحد من الجرعة الأولى وذلك لضمان مستوى مناسب من المناعة لدى هذا الشخص حتى يقيه من الاصابة بالمرض اذ أن من النادر اصابة الشخص بهذا المرض اذا كان قد أتم برنامج التطعيم كاملاً منذ الصغر ، ثم أعطي فيما بعد جرعات تقوية اضافية .

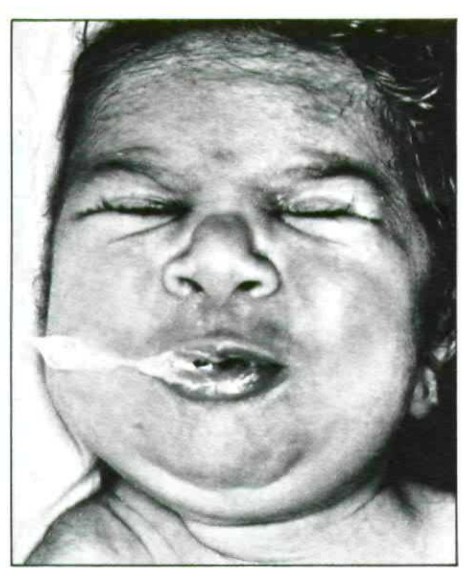
• أما بالنسبة لكزاز الوليد فيجب اعطاء الأم الحامل جرعتين من مصل الكزاز وذلك في الأشهر الأخيرة من فترة الحمل ، وتدريب القابلات القانونيات على سبل الولادة الصحية المعقمة ، واعطاء الفلوبيولين المضاد للكزاز للمواليد المعرضين للاصابة به والمولودين في ظروف غير صحية .

• ضمان اقامة برنامج هادف ومنظم للتطعيم ضد الكزاز اذ يجب اعطاء الطفل وهو في الشهر الثالث من العمر الطعم الثلاثي ضد الكزاز والسعال الديكي والخانوق « الدفتيريا » ، ويكرر التطعيم ثانية بعد حوالي شهر ، ثم بعد حوالي شهر أو شهر ونصف الشهر ، ثم يعطى جرعة تقوية بعد سنة وأخرى بعد ٤ سنوات من آخر جرعة أعطيت له ، ثم جرعة تقوية بعد كل ١٠ سنوات .

ومما يذكر ان مضاعفات جرعة الكزاز تكاد تكون معدومة ولا تذكر بالنسبة للفائدة المترتبة على التطعيم الواقي .

وخلاصة القول . . ان في الامكان الحد من خطر مرض الكزاز اذا ما توفر نظام التوعية وبرامج التطعيم الهادفة أسوة بالمجتمعات الأخرى المتقدمة •

تقوس الظهر وتصلب الاطراف من اعراض كزاز الوليد



تشنجات في الوجه (ضزز) مع صعوبة في فتح الفم

د . هشام الناظر — الأردن



الأدوار التي لعبتها الورود والزهور في الأدب والفن

بقلم : الاستاذ عثمان شوقي



تكشف لنا الحضارة الاسلامية عن أمر هام لم يعن به الباحثون بشكل مركز ، رغم أنه من صميم هذه الحضارة . وهذا الامر هو الدور الذي لعبته الزهور في حياة العرب والمسلمين اليومية أي من الناحية الأدبية والفنية . فالمواد التي قدمتها حضارتنا عن هذا النمط من الحياة ، وافرة جداً ، وجديرة بالانتباه ، وهي تعد على ذوق حضاري بالغ ، قل أن نجد مثله في عمقه وسعته ونعومته ، عند الأمم الأخرى .

ان من الطبيعي ان يميل الانسان الى الزهور والورود ، ولكن كثرة الولع بها والاقبال عليها ، دليل على الأصل في الولع بالجمال ، وبما توحيه هذه الزهور من معان كثيرة نبيلة . وقد تعلق العرب والمسلمون بالزهور والورود بشكل عجيب ، حتى ظهر ذلك واضحاً في الأدب والفن ، معبراً عن مناح عديدة لحياتهم اليومية ، سواء في الماضي أو الحاضر .

اهتم العرب بالمرأة وكرّموها ، فمن شدة اهتمامهم بها وتكريمهم لها ، شبهوها بالأشياء التي كانت في أعينهم مجمعاً للجمال والرقة والعذوبة والنعومة . فنحن نراهم يصفونها بزهرة أو وردة أو فلة . وجعلوا خدودها ورق الورد وعيونها النرجس ، وسوالفها السوسن ، وثغرها الأقاح أو الأقحوان ، وحديثها « قطع الرياض كسين زهرا » كما قال بشار بن برد ، ورائحتها في عطر الخزامى . . . الخ .

والأمثلة الشعرية التي تؤيد قولنا هذا ، كثيرة ، وكثيرة جداً ، فقد لا يخلو شعر شاعر من هذه الأوصاف كلها أو بعضها ، وقد انتقلت هذه التشبيهات من الشعراء الى الناس جميعاً حتى أصبحت معاني عامة ، لم ننفك نسمعها حتى اليوم هنا وهناك . فاذا كان هؤلاء الشعراء قد رفعوا المرأة الى درجة الزهور ، فقد نراهم في الوقت نفسه ، قد رفعوا الزهور نفسها ، الى درجة الكواكب وشبهوها بها في أدبهم . وقد ورد هذا المعنى كثيراً على لسان شعراء الأندلس .

ولقد لقي الورد وهو نوع من الزهر ، اقبالاً رائعاً في العصر العباسي ، حتى أنهم يذكرون ان الخليفة المتوكل ، من شدة ولعه بالورد ، حرمه على الناس ، وجعله لنفسه وحده ، وكان الورد لا يفارق مجلسه ، كما كان لا يلبس في أيام الورد ، الا الثياب الموردة ، ويجعل كل شيء في قصره بلون الورد . . بل كان يقول : أنا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، وكل منا أولى بصاحبه .

وبينما نجد هذه العناية البالغة بالورد عند الخليفة المتوكل ، نرى أيضاً في العصر نفسه ، حائكاً بسيطاً من عامة الناس ، كان يعمل في حياكته على مرّ أيام العام ، لا يتوقف في عيد ولا في يوم عطلة أو جمعة ، فاذا اقبل موسم الورد ، ترك عمله وانصرف الى سمره الخاص ، لأن أيام الورد ، هي أطيب الأيام في الطبيعة والزمان . . ويرى أنه من

الجدير به أن يكرمها بالانقطاع عن العمل اليومي والانصراف الى التمتع بمنظر الورد والزهر ، واستجلاء مناظر الطبيعة الخلابة ، فما زالت تشجيه ويستوحيها حتى ينقضي زمن الورد ، وعندئذ كان يغني :

فان يقتني ربـــي الى الـــورد اصطبـــح
وان مـــت . . وا لهفي على الورد والزهر

ويقال ان المأمون علم بهذا الحائك الرقيق النفس ، العاشق الورد ، فأمر بأن يدفع له كل عام في موسم الورد ، عشر آلاف درهم .

وفي ذلك العصر نفسه ، نجد أن النساء الظريفات ، كن لا يفارقن الزهر أو الورد ، يملأن به مجالسهن . . وكن يفضلن من العطور ، عطر البنفسج او الياسمين . . وحتى في سائر المجتمعات والحفلات يومذاك ، كان القوم يجعلون للزهور المحل الأول ، وفي ذلك يروى أن أحد الوزراء العباسيين أقام حفلة دعا اليها وجوه بغداد ، فغطى وجه نهر دجلة يومئذ بالورد والزهر ، وقد كان قسم من هذا النهر يجري في حديقته ، اذ شق منه قناة خاصة .

ان الأمثلة على اهتمام العرب بالزهور كثيرة وكثيرة جداً . كما قلنا آنفاً ، ان هذا الاهتمام ظهر بشكل واضح ملموس في الأدب وفي الحياة العاطفية وكل مناحي الحياة الأخرى اليومية ، فقد ظهر ذلك أيضاً بشكل بارز في الفن الاسلامي . فكما أن العرب والمسلمين في حياتهم اليومية اتخذوا الزهر على اختلاف أنواعه وألوانه أداة للزخرفة ، أو الزينة ، كذلك زينوا به كثيراً من الأشياء المادية التي تحيط بهم أو يستعملونها أو يلبسونها . . زخرفوا به المنسوجات التي تلبس ، وكذلك زينوا بهذه الزهور ، الأطباق والصحون . وقد تفنن في هذه الأطباق ، الأتراك في القرن السادس عشر وقبله . فكثيراً ما نرى اليوم أطباقاً من هذا النوع تحمل أشكالاً مختلفة من الزهر ، كالسوسن والورد والقرنفل . كما أدخلوا الزخرفة الزهرية في الأواني والأباريق



والكؤوس . وفي متاحف العالم اليوم ، كثير من القطع الخزفية التي زخرفت جوانبها بالزهور ، وكذلك أدخلوها على الأواني النحاسية . ولم ينسوا أن يزخرفوا البسط والسجاد بالزهور أو الأشجار ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك . . فقد زينوا الخط العربي نفسه بالزهور وأحاطوه بها لتتمتع العين بالزهر وبجمال الخط معاً ، وعمدوا الى أقسى أنواع الخطوط ، وهو الخط الكوفي ، فجعلوا الزهور تنبت من جوانب الحروف فيه ، وأسموه « الخط الكوفي المزهر » .

وهكذا نرى في هذه اللمحة ، أن العرب حاولوا أن يكون الزهر معهم دائماً لا يفارقهم بحضوره أو غيابه . . ففي أيام حضوره ، تمتعوا به وبمنظره ونعومته وطيبه . . وفي أيام غيابه ، استعاضوا بالزخرفة والتصوير ليكون على مرأى أعينهم دائماً ، وقد نتج عن هذا الاهتمام البالغ ، ولادة فن اسلامي يرتكز على الزهور قبل كل شيء ، ولا نجد مثله في فنون الأمم الأخرى ، في تشعبه وفي تنوعه .

والأدب العربي ، قديمه وحديثه ، احتفل كثيراً بالربيع ، وبمظاهر الطبيعة الخلابة ، وبالورود والزهور على اختلاف أنواعها وألوانها وأريجها . وفيما يلي انماط يسيرة من الشعر ، تعكس مكانة الورود والزهور في



نفس الانسان العربي ، وحبه وتقديره لها . والاشادة بها ، وهيامه بالطبيعة والمناظر الجميلة الرائعة . وها هو صفي الدين الحلي يقول في وصف الربيع :

ورد الربيع فمرحبا بوروده
وبنور بهجته ونور وروده
وبحسن منظره وطيب نسيمه
وأنيق ميسمه ووشي بروده
فصل اذا افتخر الزمان فانه
انسان مقلته وبيت قصيده
يغني المزاج عن العلاج نسيمه
باللطف عند هبوبه وركوده
يا حبذا ازهاره وثماره
ونبات ناجمه وحب حصيده
والغصنُ قد كسيَ الغلائل بعدما
أخذت يدا كانون في تجريده
نال الصبّا بعد المشيب وقد جرى
ماء الشبيبة في منابت عوده
والورد في أعلى الغصون كأنه
طرف تنبه بعد طول هجوده
وانظر الى المنظوم من منثوره
متنوعاً بفصوله وعقوده

ومما قاله أبو تمام في وصف الربيع أيضاً :

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما
تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهاراً مشمساً قد شابه
زهر الربا فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى اذا
حل الربيع فانما هي منظر
أضحت تصوغ بطونها لظهورها
نوراً تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى
فكأنها عين لديك تحدر

ولأبي نواس ، وصف رائع للنرجس :

تأمل في نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

عيـون من لجين شاخصـات
بـأبصار هـي الـذهـب السبيك
على قضب الزبـرجـد شاهـدات
بـأن الله ليس لـه شريك

ولأبي العتاهيه بيتان في وصف البنفسج :

ولازورديـة تـزهـو بزرقتها
بـين الرياض على حمـر اليواقيت
كأنهـا فوق قامات ضعفن بهـا
أوائـل النار في أطـراف كبريت

أما أمير الشعراء أحمد شوقي فيقول في الربيع :

آذار أقبـل ، قم بنا يا صـاح
حـي الربيـع حـديقـة الأرواح

ويقول في القصيدة نفسها :

ملك النبـات فكـل أرض داره
تلقـاه بالأعـراس والأفـراح
منشورة أعـلامـه مـن أحمـر
قـان وأبيض في الـربى لمّـاح
لبست لمقـدمـه الخمـائل وشيهـا
ومـرحـن في كنـف لـه وجناح
يغشى المنازل مـن لواحظ نرجس
آنـا ، وآنـا من ثغور أقـاح
ورؤوس منثـور خفضـن لعـزه
تيجـانهـن عـواطـر الأرواح
الـورد فـي سرر الغصـون مفتّح
متقـابـل يثني علـى الفتـاح

أما الشاعر عبد اللطيف النشار فيقول في الربيع :

رفـع الربيـع لواءه فـوق الشجـر
أتـراه يزحـف غازيـا أم يستقر
سار الـربيـع ونحن في اعقابـه
هيهـات مـا منـا مقيـم منتظر
سيصير صيفاً ثـم يبرد عـوده
ويسيل أمـواهـاً بفيض منهمر
ونـراه بعـد كمـا رأينـا أولا
وكأنـه في سيره لـم يستدر
وهمـا فلا صور الربيـع تشابهت
كلا ولا الراؤن : قـد خدع البصر
عـد يا ربيـع فبعـد عـام نلتقي
في مستوى أعلـى وأحـوال أخـر

مـا نحـن نحن كما مضت أعوامنـا
مـا نحن نحـن لدى القريب المنتظر
شجراً تصير بذورنـا وحبوبنـا
ويطيب ما فـوق الغصون ويزدهر

ومثلما وصف البحتري بركة المتوكل ، نجد شاعراً عربياً قديماً يصف لنا بنفسجة بقوله :

مـاس البنفسج في أغصانـه فحكـى
زرق الفصوص على بيض القراطيس
كـأنـه وهبوب الريـح تعطفـه
بـين الحدائـق أعـراف الطواويس

ان زهرة قد توحي الى شاعر قديم بتشبيهها بمداهن من ذهب ، فيها بقايا من المسك كما صنع ابن المعتز في وصف زهرة الأذريون « عباد الشمس » . . ولكن زهرة سجينة في أناء بأحد القصور ، قد أوحت الى ايليا ابي ماضي ، قصيدة طويلة رائعة يقول فيها :



لهـا الحجـرة الحسناء في القصر انما
أحب اليهـا روضـة وكثيب
واجمـل من نـور المصابيح عندها
حباحب تمضي في الدجـى وتؤوب
ومـن فتيات القصر يرقصن حـولهـا
على نغمـات كلهـن عجيب
تـراقص أغصـان الحديقة بكـرة
وللـريـح فيهـا جيئـة وذهوب

ويقول ايضاً في قصيدة فـي الفـراشة المحتضرة . . والفراشات تهيم بالزهر :

يا روضـة في سماء الروض طائـرة
وطائـراً كالأقـاحي ذا شذى زاكي
مضى مع الصيف عهـد كنت لاهيـة
على بساط من الاحـلام ضحـاك
تمسين عند مجاري المـاء نائمـة
وللأزاهـير والأعشاب مغـداك
فكلمـا سمعت أذنـاك ساقيـة
حثثت للسفـح مـن شوق مطاياك
وكلمـا نورت في السفح زنبقـة
صفقت مـن طرب واهـتز عطفـاك
فمـا رشفت سوى عطر ولا انفتحـت
الا علـى ألحن المحبوب عينـاك
وكـم لثمت شفاه الورد هائمـة
وكـم مسحت دموع النرجس الباكي
وكـم ترجحت في مهـد الضياء على
توقيع لحـن الصبا او رجعة الحاكي

وهكذا نرى أن حس الشعراء العرب وشعورهم بالطبيعة على اختلاف ضروبها وافانينها لم ينقطع . فمنذ العصر الجاهلي ونحن ما زلنا نقرأ شعراً رائعاً في الطبيعة ونتملاه لامرىء القيس وذي الرمة ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، وابن خفاجة ، وابن حمديس الصقلي ، وغيرهم الى عصرنا هذا في شتى أنحاء الوطن العربي الكبير . وقد أجاد هؤلاء الشعراء في وصف الطبيعة الخلابة ومفاتنها الجميلة ، فألهمتهم الحب والهيام بالجمال في شتى صوره وألوانه ●

عثمان شوقي – القـاهـرة



نظرات في الأدب الجزائري المعاصر

بقلم
الاستاذ عبد الرحمن شلش

تمهيد

ما أشد حاجتنا في أقطار المشرق العربي الى التعرف الى الحركة الأدبية المعاصرة في أقطار المغرب العربي .

ونحن العرب أمة واحدة تربط بيننا وتجمعنا وحدة اللغة والتاريخ والمصير المشترك .

واذا كان أبناء أقطار المغرب العربي يعرفون الكثير عن الحركة الأدبية عند أشقائهم في المشرق العربي ، فاننا في المشرق العربي لا نعرف سوى القليل عن الحركة الأدبية عندهم .

ولئن كان الوجود الاستعماري في الماضي مبرراً لقيام حواجز العزلة الثقافية ، فان هذه العزلة لا تصح في وقتنا الحاضر بعد حصول الدول العربية على استقلالها .

والواقع ان الجزائر الشقيقة التي سنتحدث عن أدبها المعاصر في هذا المقال ، قد أسقطت منذ استقلالها كل حواجز العزلة الثقافية التي كانت قائمة بينها وبين شقيقاتها في المشرق العربي لتشمخ اسلامية عربية القلب والوجه واللسان وتثأر من كل عهود الظلام . ولقد أثرى الأدب الجزائري ، الأدب العربي بوصفه رافداً من روافده بما قدمه ويقدمه من أصالة في كل فن أدبي .

ومن المعروف أن الأدب من أكثر مظاهر النشاط الانساني اتصالاً بوجدان الأمة المبدعة له ، ومن ألصق الموضوعات بملامح شخصية هذه الأمة ومنازعها في الحياة .

والعرب امتازوا بشغفهم بالأدب وفنونه بصورة لا مثيل لها حتى كانت معجزة الاسلام فيهم أدبية ، وكان الشعر ديوانهم ، فلعب دوراً طليعياً ، ثم لعب النثر دوراً مماثلاً .

والأدب العربي مرآة للأمة العربية ، فهو يصور أحوالها ، وأحداثها ، وظروفها ، ويعكس جوانب حياتها في كل زمان ومكان .

ومن المهم قبل الحديث عن الأدب الجزائري المعاصر ، أن نمهد لهذا الحديث بنظرة سريعة على البيئة التي ظهر فيها هذا الأدب ، وأن نرصد أهم الأحداث التي دفعت اليه . . ذلك لأن الأديب هو ابن البيئة والأحداث .

وعندما نذكر اسم الجزائر ، فانها ترتبط على الفور بالثورة وحرب التحرير وبلد المليون شهيد ، ويجدر بنا أن نتعرف إلى ما يقوله التاريخ .

فالثابت تاريخياً أن الفرنسيين حين دخلوا الجزائر ، وجدوا اللغة العربية تضطلع بدور هام في التصدي لحالة الجمود ومرحلة الانحطاط التي كانت تمر بها سائر البلاد العربية التي رزحت تحت السيطرة التركية ، وما أن تمركزت فرنسا في الجزائر منذ القرن الماضي حتى بدأت تخطط لفرنسة الجزائر في كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ويهمنا الجانب الأخير .

فقد قضى الاستعمار الفرنسي على المدارس والمعاهد التي كانت تعلم اللغة العربية وآدابها ، وحارب كل ما من شأنه رفع مستوى التعليم العربي ، وفتح المدارس الحديثة ذات المناهج الفرنسية ، وأصدر مجموعة من الصحف بلغته .

ومع مضي السنين أصبح للفرنسية نوع من السيطرة على البيئة الثقافية في الجزائر ، بعد أن

تكونت فئة غير قليلة من الجزائريين قراء الفرنسية ، وظهر بعض الكتّاب الجزائريين الذين يؤلفون أعمالهم الأدبية بالفرنسية ، ومن أمثال هؤلاء : محمد ذيب ، وكاتب ياسين ، ومولود فرعون ، ومولود معمري ، ومالك حداد ، وآسيا جبار ، وغيرهم ، وقد حاولوا الاخلاص للواقع الجزائري ، ولكن الأداة — اللغة — التي كانوا يكتبون بها كانت تخونهم بسبب انفصالهم اضطرارياً عن اللغة العربية ، ولأنها ، أي الفرنسية ، كانت لغة المستعمر المفروضة قسراً على الجزائريين .

ولما تفجرت الثورة ضد المستعمر الفرنسي كان الأدب الجزائري الحديث سلاحاً من أسلحتها ، وراح الأدباء والشعراء يواصلون النضال بالكلمة وأحياناً بالسلاح ، وقد كتب شاعر الكفاح والثورة : مفدى زكريا ، احدى قصائده بدمه وأرسلها من وراء القضبان للحكومة الموقتة ، عربون وفاء من الشعر للثورة والثوار .

العوامل المؤثرة

كان الأدب الجزائري الحديث يكتب باللغة العربية الفصحى ، وباللغة الفرنسية ، والى جانبهما اللهجة العامية في الجزائر التي كان يكتب بها الشعر الغنائي خاصة . أما الفصحى فكانت لغة الشعر والمقالة والقصة القصيرة والرواية والمسرحية ، وأما الفرنسية فقد كانت لغة بعض القصص والروايات لبعض الكتاب الجزائريين .

لكن هناك مجموعة من العوامل أثرت في الأدب الجزائري كان من أبرزها :

• نمو اليقظة الوطنية في العالم كله خلال الحربين العالميتين ، الأولى والثانية ، وظهور حركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث .

• تصاعد النهضة الوطنية في العالم الاسلامي بقيادة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، وتأثيرها في الجزائريين كمسلمين .

• وجود رد فعل عند الجزائريين ضد طبيعة النفوذ الفرنسي الذي كان يستغل الأفراد والمجتمعات .

• تأثر الانتاج الأدبي في الجزائر بما كان سائداً في الانتاج الأدبي عند كتّاب وأدباء المشرق العربي .

• ظهور الصحافة العربية الوطنية في الجزائر واسهامها في التيار الأدبي العربي . الذي حمل على عاتقه مهمة احياء الثقافة العربية الاسلامية .

وهكذا نجد أن ارتباط الحركة الأدبية الجزائرية بالوطن العربي من جهة ، والانفتاح على ثقافة العصر من جهة أخرى ، قد أثرا بشكل واضح على الأدب الجزائري المعاصر .

مراحل التطور

لعل من أبرز مراحل التطور التي مر بها الأدب الجزائري ، المراحل الأربع التالية :

• المرحلة الاولى :

وتبدأ هذه المرحلة مع مطلع القرن العشرين حيث شهدت انتاج بعض الرواد من شيوخ الجزائر الذين كانوا يدعون الى نبذ الجديد والتشكك في قيمته الفنية والموضوعية ، والى ضرورة الأخذ بالقديم لا باعتباره نماذج باقية ، ولكن باعتباره تراثاً قومياً يجب التمسك به والحفاظ عليه ، ومن أشهر رواد هذه المرحلة أبو القاسم الحفناوي ، وعبد القادر المجاوي ، والمولود بن الموهوب ، ومحمد بن أبي شنب ، ومحمود كحول ، ومعظمهم جمع بين الشعر والمقالة ، وكانوا يلقون المحاضرات ويعقدون الندوات في الأندية والمدارس .

• المرحلة الثانية :

وتبدأ بانتاج الشيخ عبد الحميد بن باديس وتلاميذه ، وكان له طريقة خاصة في تناول الحياة كلها تشهد له بالحذق والبراعة ، حيث كان يدعو الى القديم والجديد معاً ، القديم في محاسنه ورزانته ، والجديد في طلاقته وتطوره ، واذا كانت هذه الدعوة من الشيخ عبد الحميد عامة تشمل أساليب الاصلاح جميعاً ، فقد كان اوضح ما تكون فيما عالجه من مسائل الأدب لتلاميذه ولا سيما في دراسته لكتابي : « الكامل » و « الأمالي » . وفي هذه المرحلة كانت البدايات الأولى لاتصال الأدب بموضوعات عامة في الحياة مثل اختيار موضوعات أخلاقية واصلاحية . فتلاميذه وان لم يخرجوا عن تأثرهم بالقديم ، الا أن شعرهم كان يحمل سمات الصراع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، ووصف الجانب الاجتماعي في الحياة بكل مظاهرها .

• المرحلة الثالثة :

كان من أبرز شيوخ هذه المرحلة الشيخ البشير الابراهيمي الذي كانت ثقافته الأدبية أعمق من ثقافة صديقه الشيخ عبد الحميد بن باديس ، خاصة وأن الابراهيمي اتخذ الصحافة منبراً لقيادة الجيل الجديد في الأدب ، سواء فيما كان ينشره من نماذج تثير الاعجاب ، وتدعو الى الاحتذاء ، أو فيما كانت تنشره جريدة « البصائر » من شروط للأدباء والكتاب الذين يرغبون في المساهمة بالكتابة ، وكان طلابه يتحدثون إليه في شئون الأدب قديماً وحديثاً ، وينشدون شعرهم على مسمعه ، فيوجههم ويستزيدهم ، ويرشدهم الى النماذج الرائعة من الشعر والنثر القديم منهما والمعاصر ، فشكل هؤلاء فيما بعد اتجاهاً أدبياً يتسم بالبساطة والواقعية في أسلوب الشعر وأدائه . أما في النثر فيتسم بتحرير العبارة ، واختصار الجملة ، والاقتراب من ذهن القارىء بتناول موضوعات تتصل بحياته ومشكلاته .

• المرحلة الرابعة :

لئن كان الجيل الذي تخرج علمياً على يد الشيخ ابن باديس ، وأدبياً على يد الشيخ الابراهيمي ، هو الذي يقود هذه المرحلة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) ، فان هذه المرحلة أخذت تتحرر في أسلوبها وموضوعاتها بالرغم من صلتها بالقديم ، وذلك بفضل روادها الذين اكتسبوا ثقافة جديدة معاصرة ، فظهرت آثار المدارس الأدبية العالمية على انتاجهم ، حيث نرى مسحة الاتجاه الواقعي واضحاً في انتاج رضا حوحو ، والاتجاه السلوكي في انتاج أحمد ذياب ، والاتجاه الرومانسي في انتاج محمد العيد آل خليفة . ومن رواد هذه المرحلة أيضاً الشعراء : عبد الوهاب بن منصور ، ومولود الطياب ، وبوكوشه .

على أن هناك ما يمكن تسميته بالمرحلة الخامسة ، وهي مرحلة أدب الثورة الجزائرية منذ عام ١٩٥٤ ، وتستمر حتى الآن حيث نشهد تطوراً أدبياً على يد الجيل الجديد .

ملامح من الشعر والنثر

ان الأدب الجيد هو ذلك الأدب الذي يتوفر فيه عنصر الصدق بأبعاده الثلاثة : البعد الفني ، والبعد الانساني ، والبعد التاريخي . ويتميز الأدب الجزائري ، شأنه شأن أدبنا العربي في مختلف اقطارنا العربية ، بالصدق في أبعاده الثلاثة التي أشرنا اليها .

ويعتبر هذا الأدب صادقاً في التعبير عن البيئة التي نبع منها ، فهو يصور لنا الحياة في المجتمع الجزائري ويقدم رؤية فنية للواقع المعاشي هناك من خلال هموم الانسان ومشكلاته وقضاياه .

ونحاول هنا التعرف ببعض النماذج من الأدب الجزائري ، سواء في الشعر أو النثر ، وهذا يساعدنا بالتالي على التعرف الى ملامح الحركة الأدبية الجزائرية .

أما الشعر ، فنسوق بعض المقتطفات على سبيل المثال وليس الحصر ، لبعض الشعراء.

فالشاعر الربيع أبو شامة يقف على الساحل الجزائري ، فيتراءى له ساحل مجد وبطولات على مرّ التاريخ ، ويخاطبه بقوله :

يا ساحل المجد ، هيا اسمع لانشادي
في حسنك المجتلى بوركت من واد
واهزج معي بأغاني الخلد مذكرا
أيامك الغر في دنيا ابن حماد

والشاعر محمد الأخضر السائحي يدخل مدينة القسنطينة ، فيذكر مقاومتها للاحتلال في عهد صالح ، وأحمد باي ، يقول :

قسنطينة الفيحاء ما أنت بلدة
ولكنك المجد القديم المسطر
سلي عنك في التاريخ عصراً قطعته
وعيشك مخضل الجوانب أخضر

والشاعر محمد بلقاسم خمار يدعو أبناء وطنه إلى التعاضد والجهاد قائلاً :

فهبوا يا بني وطني خفافا
الى يوم التعاضد والجهاد
الى داعي الصلاح فقد دعاكم
بأن تبنوا بناءً ذا عماد

ولنا هنا ملاحظة ، وهي أن الشعر الجزائري الحديث في معظمه كان شعراً وطنياً بحكم ظروف الجزائر ، لدرجة أن شعر الغزل كان يندرج تحت هذا الاطار الوطني .

وأما النثر ، فنتوقف عنده من خلال بعض الاشارات التي تعكس لنا ملامح هذا اللون من ألوان التعبير الأدبي .

واذا كان الشعر يعبر عما يختلج في النفس الانسانية من انفعالات ، فان النثر يعبر عن هموم الانسان الجزائري وانفعالاته النفسية .

ويتمثل النثر الأدبي في : الخطابة ، والمقالة ، والدراسة ، والقصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية .

وفي البداية كان يغلب على النثر السجع ، ولكنه لم يلبث أن أصبح متحرراً من قيود أساليب العصور القديمة ، وتميز بجزالة المعنى وبراعة التصوير وغزارة الأفكار ، ومما ساعد على ذلك نشأته في أحضان الصحافة التي أخذت تشق طريقها نحو النمو والتطور والتقدم .

ومن أشهر الرواد الذين مارسوا كتابة النثر ، وخاصة المقالات ، ابن باديس ، والبشير الابراهيمي ، والطيب العقبي ، والمبارك الميلي ، وأحمد توفيق المدني ، وأحمد رضا حوحو ، وقد ظهرت لبعضهم مؤلفات قصصية ومسرحية ودراسات أدبية وتاريخية ، الى جانب جمعهم بين الشعر والنثر .

يقول ابن باديس عن غرض المدرسة الفكرية التي أنشأها : « ان خدمة الانسانية في جميع شعوبها والحدب عليها من جميع أوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما نقصده ونرمي اليه » .

ويقول الابراهيمي مناجياً وطنه في ديار الاغتراب « قل للجزائر هل يخطر ببالك من لم تغيبي قط عن باله . وهل طاف بك طائف السلو عن مشغول بهواك عن سواك ، فلا تنسي أني كنت منذ عهد التمائم الى عهد العمائم ، ما شغلت عنك الا بك ولا خرجت منك الا عائداً اليك » .

ويعد « حوحو » رائد فن القصة في الجزائر وواضع بذورها لكي يبني عليها الجيل اللاحق معالم القصة المتكاملة ، وله مسرحيات فكاهية بالفصحى والعامية ، كما كان يكتب المقالات الأدبية والدراسات النقدية ، ويسهم بنصيب في حركة الترجمة .

وهناك مجموعة من الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات التي كتبها أدباء الجزائر الذين يكتبون بالفرنسية ، وهي أعمال نثرية اعتبرها أصحابها أدباً عربياً يحمل الروح العربية ويعبر عن الواقع الجزائري رغم أنها كتبت بالفرنسية . فهؤلاء الأدباء استخدموا الأدب كسلاح لمواجهة المعتدين بلغتهم ذاتها ، وعملوا ببراعة على تثبيت صورة الجزائر في أذهان الفرنسيين ومن يجيد الفرنسية .

ومن هذه الأعمال النثرية : رواية : « نجمة » ومسرحيات : « دائرة الانتقام » و « مسحوق الذكاء » و « الاسلاف يتميزون غضباً » لكاتب ياسين الذي له أيضاً مجموعة شعرية بعنوان : « نجوى » . وروايات : « البيت الكبير » و « الحريق » و « مهنة الحياكة » ومجموعة قصص : « في المقهى » لمحمد ذيب . وروايات : « ابن الفقير » و « الأرض والدماء » و « الدروب الصاعدة » لمولود فرعون . وروايات : « الهضبة المنسية » و « سبات العادل » و « الأفيون والعصا » لمولود معمري . ورواية « أطفال العالم الجديد » لآسيا جبار .

وتقول آسيا جبار عن مضمون أعمالها : « ان مادة قصصي ذات محتوى جزائري ، وتأثري بالحضارة العربية والتربية الاسلامية لا يحدّ ، فأنا اذن أقرب الى التفكير بالعربية الفصحى ، منه الى التفكير بالفرنسية دون انكار لفضل هذه اللغة » .

والحقيقة أن هناك جيلاً جزائرياً جديداً يكتب بالفصحى في الشعر والنثر ، ويثري الواقع الأدبي بما يبدعه من قصائد وقصص قصيرة وروايات ومسرحيات .

ويعتبر الطاهر وطار واحداً من أبرز أدباء هذا الجيل الصاعد ، وله رواية بعنوان : « الزلزال » ، ومجموعة قصص قصيرة عنوانها : « الشهداء يعودون هذا الاسبوع » .

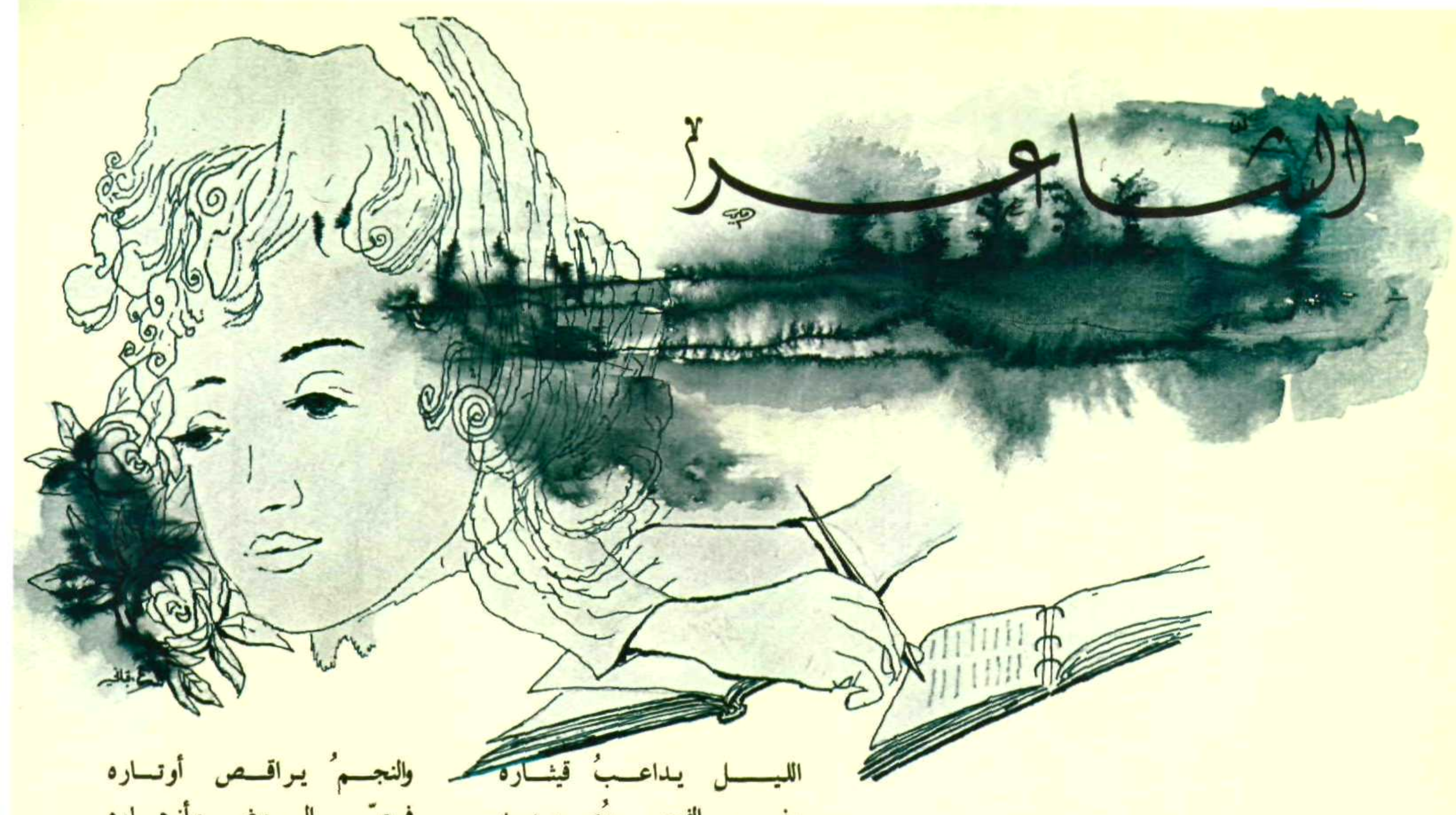
تلك نظرات في الأدب الجزائري المعاصر : خصائصه وملامحه ومراحل تطوره والعوامل المؤثرة فيه .

ولعل هذه النظرات تقدم لنا صورة لهذا الأدب العربي في القطر الجزائري الشقيق الذي يجب أن نعرف ابداعه الأدبي كما يعرف هو ابداعنا الأدبي في المشرق العربي .

والحق أن الأدب العربي المعاصر في الجزائر لا ينفصل عن الواقع المعاشي هناك ، فهو يعبر عنه ، ويلتحم به ، ويمتزج بالماضي والحاضر ، ويعطي رؤية للمستقبل . كما أن هذا الأدب لا ينفصل عن القضايا العربية ، فهو يرتبط أشد الارتباط بالأمة العربية التي ينتمي اليها ، ويتفاعل مع الأحداث التي مرت بها أمتنا ، بل انه يتفاعل مع الأحداث الانسانية في كل مكان من العالم الكبير الذي نعيش فيه .

ونستطيع القول — في النهاية — ان الأدب الجزائري المعاصر هو أدب عربي انساني محلي يتميز بالصدق مما يجعله أدباً أنسانياً عالمياً ●

عبد الرحمن شلش — القاهرة



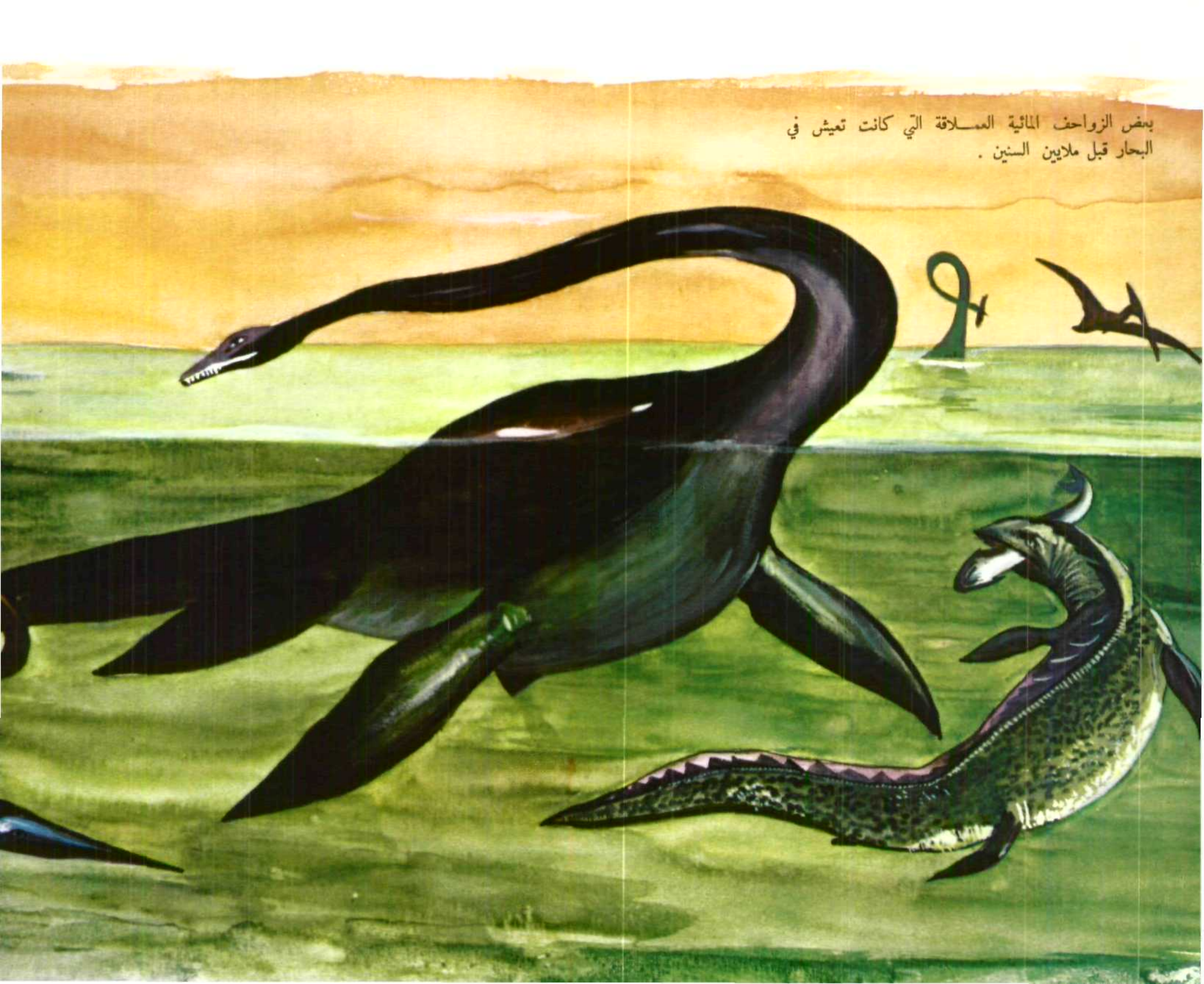
الشاعر

للشاعر : محمد محمود زيتون

الليل يداعبُ قيثاره … والنجمُ يراقص أوتاره
ونسيم الفجرِ يُهيب به … فيحيّي الروض وأزهاره
يأنس بالريح مزمجرةً … ويحبّ الموجةَ زخّاره
والشوقُ يعاوده تاره … والهمّ يزايلُه تاره
صبواتُ الحبّ تُلِمّ به … فتؤجّج في الصّدر أواره
ويخفّ الى البحر الصخّاب … يهدْهِد فيه أفكاره
وتراوِدُه أحلامُ صباه … وينسِجُ منها أوطاره
ويهيمُ بأجنِحَةٍ زرقاءَ … ليطرح عنه أوزاره
يعنو لمباهج .. دنياه … ويصدّ النفس الأمّاره
مرحُ الأعطافِ .. خفيفُ الظّل … .. طروبٌ .. لم ينْسَ وقاره
هدّار .. كالشّلال .. وفي … عِطْفَيه كتائبُ جرّاره
ملَكَ الأفلاكَ السيّاره … وافتضّ البَحْرَ وأغواره
والصخرةُ .. لانتْ .. فانبَجَست … بيديْه .. عيوناً فوّاره
يُصغي للطّير .. اذا غنّى … ويخفّف عنه أكداره
وخريفُ الروضِ يحنّ له … فيرفّ جمالاً ونضاره
ألحانُ الناي على يده … تنداحُ شعوراً وعباره
تتخايلُ في عينيه رؤىً … نسجَتْها أيْد سحّاره
تقفُو الأيامُ مسيرتَه … والدهرُ يتابعُ آثاره
لم يحفَل بالزمنِ الخوان .. … ولا بالدّنيا الغدّاره
عزماتُ الفارسِ .. لا تُخْفي … للزّهْد دليلاً واشاره
إن أومأ للطّغيان .. هوَت … منه الأسْوارُ الجبّاره
ما الشّعرُ بأوزان تُتلى .. … الشّعرُ من القلبِ عُصَاره
الشعر مع الأمجاد صدىً … والشّعرُ على الغاصِب غاره
يا ويح زمان فيه … يجترّ الشاعرُ أشْعاره

الديناصور

بالرغم من مرور زهاء مائتي مليون سنة على انقراض الديناصور فإن ثمة نظريات علمية عديدة مازالت تحوم حول الخصائص الفسيولوجية لهذا المخلوق الضخم والأسباب التي أدت إلى انقراضه .



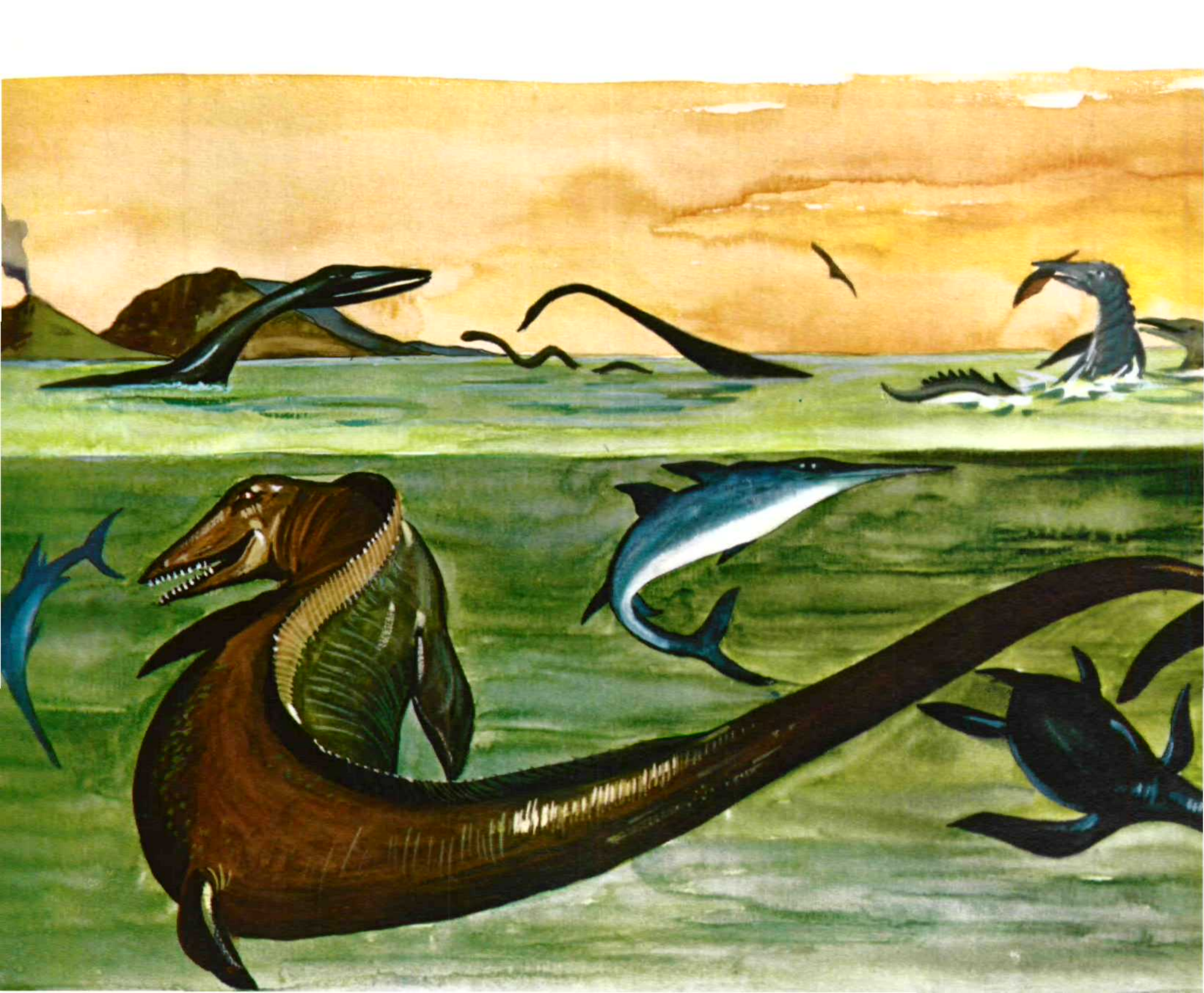
بعض الزواحف المائية العملاقة التي كانت تعيش في البحار قبل ملايين السنين .

بدأت الحياة على سطح كوكب الأرض حسب تقدير العلماء منذ مئات الملايين من السنين ، والدلائل الأولى المتوفرة لديهم هي حفريات لطحالب — Algae « الأشنة » وهي نوع من الأحياء النباتية البسيطة يقدر عمرها بحوالي ٢٧٠٠ مليون سنة . بيد أن التسجيل الواضح والدائم للحياة في شكل حفريات لم يبدأ الا منذ نحو ٥٠٠ مليون سنة مضت .

وبالرغم من هذه الدلائل ، فان العلماء ما زالوا حتى يومنا هذا يحاولون جاهدين تحديد عمر الأرض بشكل أكثر دقة مستخدمين مختلف الوسائل العلمية الحديثة المتوفرة لديهم ، وهدفهم في ذلك الوصول الى تحديد أفضل للأزمنة التي كانت تعيش على سطحها مختلف أنواع الحيوانات والزواحف التي عاشت فترات من الزمن ثم انقرضت . وتحتل الزواحف العملاقة من فصيلة « الديناصور » المكانة الأولى في هذه الأبحاث ، لكونها وجدت فوق سطح الأرض منذ فترة موغلة في القدم .

ويرجح العلماء ان يكون تاريخ الزواحف — Reptiles قد بدأ منذ نحو ٢٧٠ الى ٣٠٠ مليون عام خلال العصر الجيولوجي المسمى بالكربوني . في ذلك العصر كانت البرمائيات هي الكائنات الوحيدة التي جازفت بالخروج الى اليابسة لكنها لم تستطع الابتعاد كثيراً عن الماء ويرجع ذلك الى أنها كانت تضع بيضاً ليست له قشرة تحميه من الجفاف ، مما يتوجب أن يوضع في الماء ، بالاضافة الى أن صغارها كانت ما تزال من الحيوانات المائية التي تتنفس بواسطة الخياشيم . هذا ويضع القليل من البرمائيات الحديثة كالسلمندرات — Salamanders وضفادع الأشجار بيضه خارج الماء ، لكنه يمده دائماً بوسائل لحفظه رطباً . ولقد كان لدى بعض البرمائيات الأولى القدرة على وضع بيض مغطى بجلد أو قشرة لا ينفذ منها الماء ، حتى يمكنها ان تعيش في الهواء ، كما تتكون في الوقت نفسه رئات للصغار قبل الفقس ، حتى تتمكن من الحياة منذ البداية غير معتمدة على الماء ، وهذه المخلوقات ، وهي من سلالة البرمائيات ، كانت أولى الزواحف .

كانت الزواحف الأولى مخلوقات متوسطة الحجم ، ولكنها في عصر جيولوجي تال لذلك تطورت الى حيوانات عملاقة الحجم ، وقــد استطاع علماء الابحاث عــن « بقايا الحفريات — Fossil Remains » وهي متناثرة في أنحاء مختلفة من العالم ، استطاعوا تجميع تركيبات صحيحة لهذه الزواحف

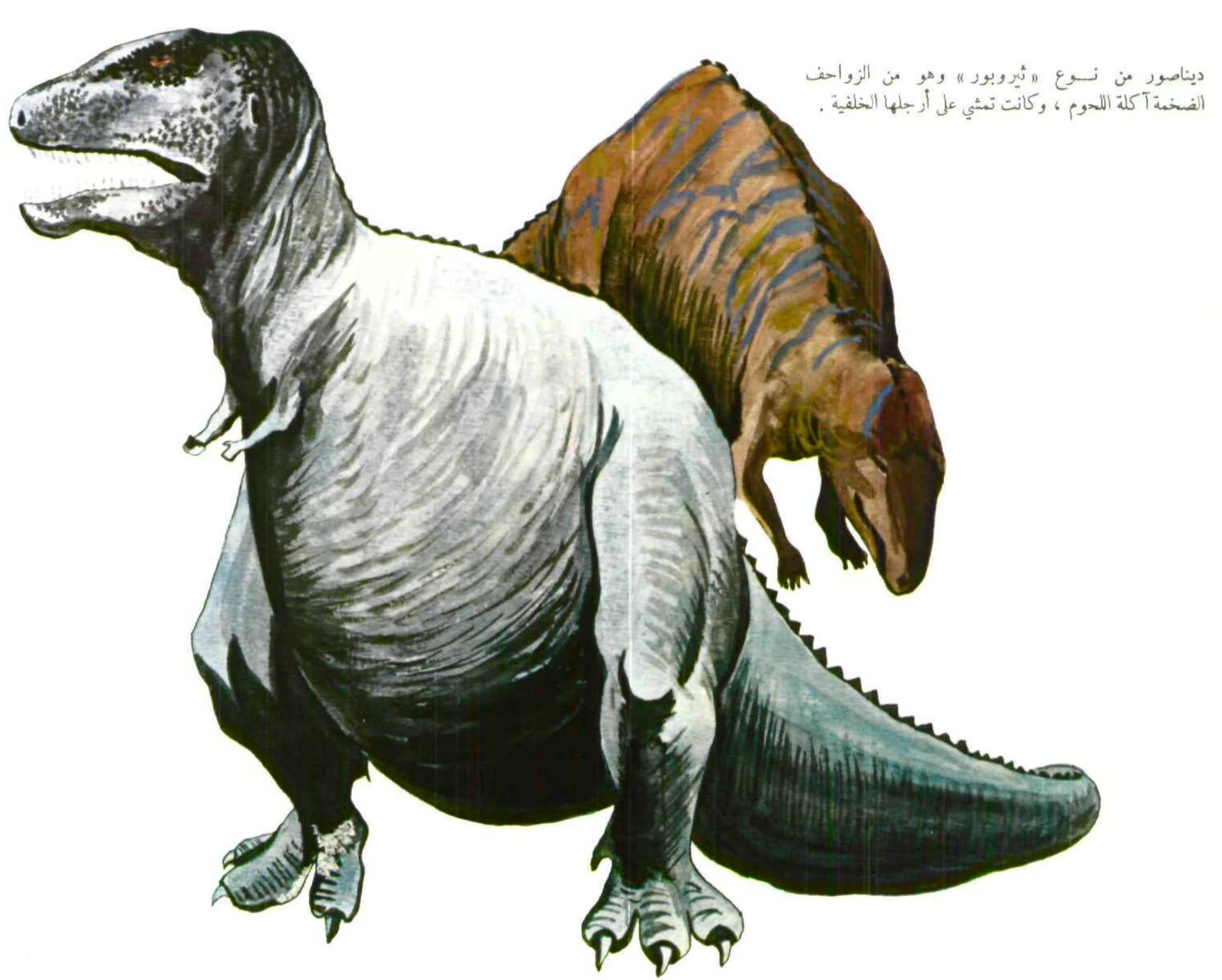


العملاقة . وقد بلغ طول « البرونتوسورس — Brontosaurus » ٢٤ متراً ، وتراوح وزنه بين ٣٥ و ٤٠ طناً . وكان « الديبلودوكس — Diplodocus » يماثله شكلاً وحجماً تقريباً ، و « الاجوانودون — Iguanodon » يقف على أرجله الخلفية التي كان طولها يبلغ حوالي خمسة أمتار . وكان أكبر هذه الزواحف جميعاً « السوروبود — Sauropods » . وكانت هذه الزواحف العملاقة تعيش غالباً في الأنهار والبحيرات لأنه كان من الصعب عليها أن تحمل أوزانها الضخمة فوق اليابسة . وكانت هناك مجموعة أخرى من الديناصورات هي « اورنيثيشيا — Ornithischia » تتغذى على النباتات . وكان بعض منها مدرعاً بشكل غريب . ولقد اكتشفت الديناصورات كمجموعة عام ١٨٤١ وأطلق عليها هذه التسمية عالم الحيوان البريطاني المعروف « ريتشارد أوين » .

بيد أن هذه الزواحف العملاقة ، بعد انقضاء أكثر من ٢٠٠ مليون سنة على انقراضها ، عادت لتكون مصدراً جديداً للنظريات العلمية الخاصة بها ، فقد كانت لسنوات مضت تندرج ضمن السحالي التي نمت بشكل يفوق الحد ، وأنها كانت من ذوات الدم البارد في حين أن هناك نظرية تقول ، بأن التركيب الفسيولوجي المعقد للديناصورات كما هي الحال في الحيوانات الثديية . قد مكنها من العيش في البيئات المختلفة فوق اليابسة منذ حوالي ٢٠٠ مليون سنة .

ويعلق الدكتور « ايوجين جافني » من دائرة علم الاحاثة الفقارية في متحف التاريخ الطبيعي الأمريكي ، (ويبحث علم الاحاثة في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات أو المستحاثات الحيوانية والنباتية) ، يعلق على هذه النظرية فيقول « ان نفراً من العلماء قد سبق لهم ان شغلوا أنفسهم بدراسة هذه النظريات ، ويرجع ذلك في الغالب الى وجود جهود علمية مكثفة تهدف الى التمييز بين ما هو فرضي وما هو واقعي . وان معظم ما عثر عليه من آثار الديناصورات حتى الآن هي افتراضات بحتة ، معظمها مجرد تساؤلات مثيرة للاهتمام لكنها تفتقر الى الاجابات الصحيحة عنها . ولسوء الحظ فان معظم هذه التساؤلات قد لا يحظى بالاجابة الشافية عنها في الوقت الحاضر .

والسؤال الآن لماذا لا يمكن تأكيد صحة التكوين الفسيولوجي ونمط الحياة للديناصورات ؟ لعل ذلك يرجع الى أن فحص عظام نوع من الأنواع المنقرضة ، أو فحص الترسبات التي توجد فيها ، لا يعطي معلومات عن التركيب البنيوي للحيوان أو عاداته . ان عالم الاحاثة يستطيع اعادة تجميع العضلات والعظام بهدف تكوين فكرة عن فصائل وأجناس نوع معين من أنواع الحيوانات . فالعظام على سبيل المثال ،



ديناصور من نوع « ثيروبور » وهو من الزواحف الضخمة آكلة اللحوم ، وكانت تمشي على أرجلها الخلفية .

تكشف عمّا اذا كان الحيوان سريع العدو ، متسلقاً ، او سباحاً . لكن التوصل الى مزيد من التكوين الفسيولوجي المعقد للحيوان بالاعتماد على مثل هذه المواد يكون أمراً خاطئاً ، وخاصة عندما تكون البقايا الحيوانية نادرة كما هي الحال بالنسبة للديناصورات .

ان الطريقة الوحيدة التي يمكن بها التعرف الى الكيان الفسيولوجي لحيوان منقرض ، كما يقول الدكتور « جفني » ، هي أن يؤخذ أقرب قريب اليه ، ثم تجرى الدراسة اللازمة عليه ، وبعدها تجري عملية مقارنة بين الاثنين . ان أقرب الأقرباء للديناصورات هي الطيور ، ذوات الدم الحار ، وهي تختلف عن الحيوانات الثدييه . وهذا مما يدعم الافتراض بأن الديناصورات كانت من الحيوانات ذوات الدم الحار . كما أن معظم الطيور تتمتع بمرتبات أيّض على قدر من الكفاءة بخلاف الحيوانات الثديية . والمعروف أن الطيور تعيش في أوضاع تختلف كثيراً عن أوضاع معظم الديناصورات ، لهذا فان من المعتقد أن التناظر الوظيفي بين الفئتين ليس على قدر كاف من الدقة . ولسوء الحظ فان مثل هذه الاستنتاجات ينقصها الانسجام مع النظريات الأخرى الاقل تشككاً .

ويتخيل « ادريان ديزموند » في كتاب « الديناصورات ذوات الدم الحار — Warm-Blooded Dinosaurs » ، المناظر الطبيعية التي كانت سائدة في الزمن الوسيط وهي تضم مجموعات من حيوانات السربوديات من بينها البرونتوسورات والبراكيوسورات وغيرها ، وجميعها ينتمي الى فئة الديناصورات ، وهي تجوب المناطق الريفية مستخدمة أعناقها الطويلة لقضم الأوراق من أعالي الأشجار ، وكذلك الطيور ذوات الأجنحة الريشية ، وهي تتراكض فوق اليابسة لتنقض على الحشرات الضخمة لافتراسها . وكانت الهيبلوفودنز ، وهي نوع آخر من الديناصورات صغيرة الحجم نسبياً لكنها رشيقة الحركة ، تجوب الغابات كالزرافات ، كما كانت التيرانوسورات — Tyrannosaurs وهي من الديناصورات آكلة اللحوم ، ويعتبر هذا النوع من أضخم الأنواع التي عاشت على سطح الأرض ، ترقد باسترخاء واذرعها الأمامية الصغيرة الحجم ممدودة الى الأمام . كما كانت الحيوانات الثديية الصغيرة تجوب المنطقة مذعورة تبحث عن غذاء لها ثم يرجع كل منها ليقبع في جحره خشية سطوة الزواحف الشرسة عليها .



مقارنة هيكل ديناصور من نوع « براكيوسورس » مع هيكل انسان ، وقد بلغ ارتفاع الأول ٢٥ مترا وطوله حوالي ١٣ مترا .

انّه تصور جميل في الواقع ولكن هل هذا الوصف دقيق ؟ ان الدلائل القليلة المتوفرة لدى العلماء لا تستطيع اثبات أو نفي مثل هذه التصورات . غير أن الدكتور « جون اوسترو م » من جامعة « ييل » الأمريكية ، وأحد الخبراء البارزين في الديناصورات يعطي بعض الايضاحات الفرضية المثيرة والمتعلقة بمجموع العمليات المتصلة ببناء البروتوبلازما ودثورها ، وهي ما تسمى بالأيض الخاصة بهذه الحيوانات التي كانت تعيش في العصور القديمة . فبعد دراسة « الدينونيكوس — Deinonychus وهي نوع من الثيروبود الصغير الحجم من أكلة اللحوم ، ودراسة مخلبه المقوس الغريب الشكل والذي يحتمل أنه كان يطبق به على فريسته ، يضيف الدكتور « اوسترو م » قائلاً : لا بد من ان حيوانات الدينونيكوس كانت من الزواحف الخفيفة الحركة الشديدة الضراوة ، ولكنها على قدر كبير من الرشاقة والذكاء . فهي حيوانات نشطة جداً وحسّاسة .

وفي الوقت الذي يسود فيه الاعتقاد بأن الديناصورات كانت أكثر من مجرد زواحف ضخمة الحجم ، فان بعض الخبراء ما زالوا يتساءلون عن وجه الشبه بينها وبين الحيوانات الثديية والطيور . ويقول الدكتور « جيمس هوبسون » من جامعة شيكاغو الأمريكية ، ان الديناصورات تبدو في بعض مظاهر حياتها أنها كانت أكثر شبهاً بالزواحف منها بالحيوانات الثديية أو الطيور . كما أن حجم الدماغ في أكثرية أنواع الديناصورات لا يعكس مستويات النشاط المفترض في الحيوانات الثديية أو الطيور . ومن ناحية أخرى فان هناك علاقة ثابتة تربط بين الطيور والحيوانات الثديية ذوات الدم الحار ، وتتمثل هذه العلاقة بالرعاية الأبوية . وتشير الدلائل الى أن الديناصورات كانت تضع أعداداً من البيض وتحضنها ، تماماً كما هي الحال بالنسبة الى الزواحف ، وبمعنى آخر يقول الدكتور « هوبسون » ان العلماء يجهلون حتى الآن ما اذا كانت الديناصورات من ذوات الدم الحار أو من ذوات الدم البارد ، أو أنها كانت ضرباً من الزواحف . لكنه يحذر في الوقت نفسه من أنها لم تكن ضرباً من الحيوانات الثديية أو الطيور التي كانت موجودة خلال الزمن الوسيط .

وفي نهاية العصر الطباشيري ، وهو العصر الثالث والأخير من الزمن الوسيط ، أي قبل زهاء ٧٠ مليون سنة ، انقرضت جميع أنواع الديناصورات . ويقول الدكتور « لي فان فالين » من جامعة شيكاغو ، والدكتور « روبرت سلون » من جامعة مينسوتا الأمريكية ان سبب انقراض الديناصورات يرجع الى ان الحيوانات الثديية قد تسللت الى البيئة الخاصة بها وحلت بالتدريج محلها . ذلك أن الحيوانات الضخمة كانت أكثر ندرة من الحيوانات الأخرى وأن عملية التناسل بينها كانت أكثر بطءاً من غيرها . وان الديناصورات كانت تعيش في مجموعات مشتتة بالمقارنة الى تجمعات الحيوانات الثديية الكثيفة التي تسللت الى المراعي التي كانت تقتات عليها الديناصورات لملايين السنين . لكن التنافس الشديد بين الفئتين قد أدى في النهاية الى القضاء على الديناصورات .

لقد حدث مؤخراً تغير دراماتيكي في الأفكار المتعلقة بالديناصورات وذلك بسبب تعدد الوسائل التقنية الحديثة التي طرأت على علم الاحاثة الذي يبحث في أنماط الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تدل عليها

المتحجرات والمستحاثات الحيوانية والنباتية .

ويقول البروفسور «روبرت بيكر» من ادارة علم التربة بجامعة هوبكنز الأمريكية : لقد أخذ العلماء الآن في اختبار الأدلة الموجودة في المتحجرات بشكل أكثر دقة مستنبطين العديد من النظريات الفرضية من الديناصورات بدلاً من النظريات القديمة التي كانت تعتبر حتى وقتنا هذا نظريات مسلّماً بها .

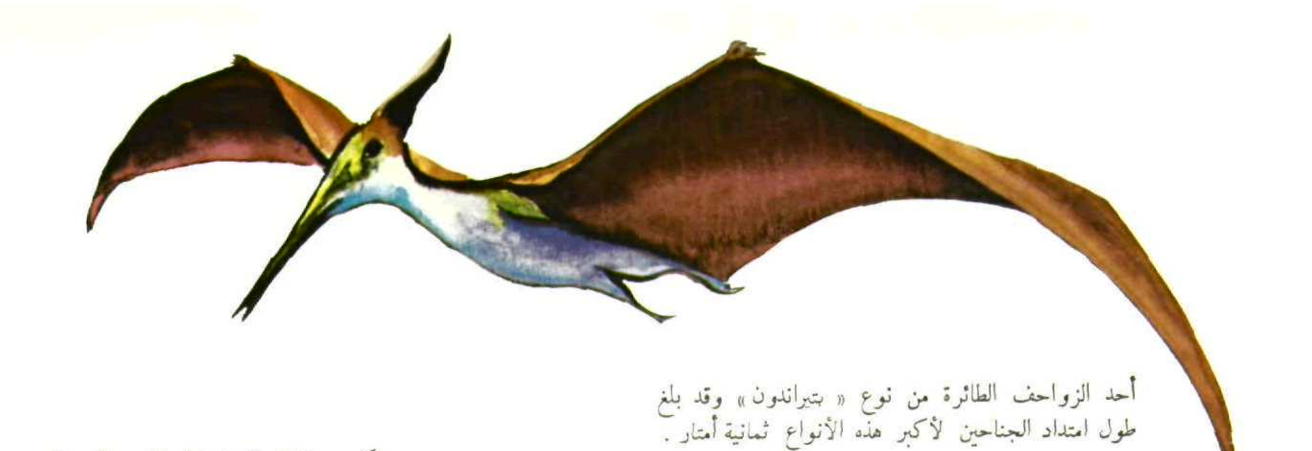
فعندما كان الدكتور «بيكر» طالباً في جامعة «ييل» ثم في جامعة «هارفارد» الأمريكيتين ، تولد لديه اقتناع بأن الكتب المدرسية التي تحدثت عن نشأة الديناصورات وانقراضها لم تكن مترابطة تماماً . نظراً الى أن الديناصورات والحيوانات الثديية قد ظهرت في فترة واحدة ، أي قبل حوالي ٢٧٠ مليون سنة .

وخلال فترة وجيزة تمكنت الديناصورات من ايجاد اشعاعات تطورية وسيطرت على كل شيء حولها . وقد استمرت سيطرتها هذه خلال منتصف الجزء الثالث من تاريخ الحيوانات الفقرية فوق اليابسة . وخلال هذه الفترة التي بلغت حوالي مائة مليون سنة كانت هناك حيوانات ثدية تعيش على سطح الأرض لكنها ظلت صغيرة الحجم ، وكان معظمها يزن أقل من رطل واحد . ولم تبدأ أحجام الحيوانات الثديية في التضخم الا بعد انقراض الديناصورات .

فإذا نظرنا الى هذا النمط من الحياة فان الافتراض الوحيد الذي يمكن أن نأخذ به هو أن الديناصورات قد نجحت في العيش ضمن بيئة تطورية للحيوانات الثدية الضخمة ، وأنها كانت تكيف نفسها بطريقة استطاعت بها لفترة طويلة من الزمن ، السيطرة على أجزاء شاسعة فوق سطح الأرض . ومع ذلك فانه بالامكان القاء الضوء على هذا الأمر بافتراض ان الديناصورات لم تكن من ذوات الدم البارد . وهذا تعبير غير موفق من وجهة نظر الدكتور «بيكر» نظراً لأن السحالي وهي ضرب من الزواحف ، تستطيع تحمّل حرارة الدم تحت أشعة شمس الصحراء ، حتى ٤٥ درجة مئوية . فالطيور الحديثة والحيوانات الثديية هي من ذوات الدم الحار . وهي بذلك تستهلك من الطاقة ما يفوق كثيراً ما تستهلكه الزواحف الحديثة .



ديناصورات من نوع «أورنيشيشيا» كانت تتغذى على النباتـــات .



أحد الزواحف الطائرة من نوع « بتيراندون » وقد بلغ طول امتداد الجناحين لأكبر هذه الأنواع ثمانية أمتار .

لكن حقيقة كون الحيوانات الثديية تهيمن الآن على جميع الأشكال الفقارية الكبيرة الحجم في جميع أنحاء العالم ، تظهر أن عملية تبذير الطاقة لدى هذه الحيوانات تعمل بطريقة مثالية أي أنها تخلص الحيوان من كثير من العوامل البيئية التي تحد من بعض أنواع النشاط الكيميائي في بعض اعضاء الجسم .

ويواصل الدكتور « بيكر » قوله : لنعد بعقارب الزمن ٢٢٠ مليون سنة الى الوراء ، لنجد أنه كان في ذلك العصر حيوان ثديي مثالي ، وديناصور من ذوات الدم البارد . كما نجد أن الديناصورات قد نمت وتطورت واستطاعت العيش على ما يرام بينما بقيت الحيوانات الثديية صغيرة الحجم وغير واضحة المعالم . فلو أن الديناصورات كانت من ذوات الدم البارد ، كالسحالي ، مثلاً ، لبقيت صغيرة الحجم ، ولكانت الحيوانات الثديية هي المسيطرة على ما حولها في تلك البيئة . لكن ما حدث لا يعطي أي معنى بالنسبة لما نعرفه عن التنافس التفاعلي بين الحيوانات الثديبه الكبيرة الحجم وبين الحيوانات ذوات الدم البارد .

ومن النظريات التي قادت الى هـــذا الاستنتاج ، دراسة عن فعل الحرارة في المتحجرات الحيوانية والتوزيع الحيواني في المناخات القديمة . وقد عثر على متحجرات للديناصورات على بعد حوالي ٥٠٠ ميل من المنطقة القطبية الشمالية . فلو كانت الديناصورات من ذوات الدم البارد لما تمكنت من العيش في مثل هذه المناطق البعيدة عن خط الاستواء خلال أشهر الليل الأربعة في المناطق القطبية الشمالية .

ومن الدلائل التي توصل اليها العلماء في هذا الصدد أن الحيوانات التي تتمتع بعملية الأيّض وهي مجموع العمليات المتصلة ببنـــاء البروتوبلازما ودثورها كما هي الحال بالنسبة للحيوانات الثديبه ، لها عظام تخترقها أوعية شعريـة وأقنية دقيقـــة تتم داخلهـــا تغيرات معدنية عديدة ونشاط كيميائي حيوي . فلو وضعنا عظام الديناصور أو عظام فخذ الانسان



مجموعة من الديناصورات وهي من نوع « السوربور » ، وكانت تعيش غالباً في الأنهار والبحيرات نظراً لأنه كان من الصعب عليها حمل أجسامها الضخمة فوق اليابسة .

تحت المجهر فانه قد يكون من الصعب التفريق بينهما . أما الزواحف فان معظم عظامها صماء غير مجوفة .

ويدعم الدكتور « بيكر » نظريته هذه بقوله : كان للزواحف عبر التاريخ عضو حساس للضوء فوق الجزء الأعلى من رؤوسها يعرف بعين الأناناس أو العين الثالثة ، ولم يكن لأي ديناصور عين ثالثة . ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن الديناصورات لم تكن من ذوات الدم البارد ، وأنها كانت في مستوى الحيوانات الثديية أو أرقى منها . ولكن بعد أن اندثرت ، نجحت الحيوانات الثديية بوسائل متعددة في اعادة عملية التطور التي سارت عليها الديناصورات .

الزواحف المائية

في الوقت الذي عاشت فيه الديناصورات على سطح الأرض ، كانت تعيش في البحار أنواع من زواحف أخرى بعضها كبير الحجم ، ولكن لم يصل حجم السوربوديات . وجدير بالذكر أن حجم هذه الزواحف وحتى الديناصورات الكبيرة لم يصل الى حجم بعض أنواع الحيتان الضخمة التي تعيش حالياً في مياه المحيطات . وتعتبر الاخثيوسورات — Ichthyosaurus والبلزيوسورات— Plesiosaurs من أفضل الزواحف البحرية المعروفة لحقبة الميزوزوي .

وكان البلزيوسور نموذجياً اذ يبلغ طول رقبته حوالي ٧ أمتار ، وهو ذو جسم كبير الحجم وزعانف للعوم . وكان الكرونوسورس — Kronosaurus ينتمي الى المجموعة نفسها ولكنه ذو عنق قصير ورأس كبير . ويبلغ طول جمجمته فقط أكثر من ثلاثة أمتار .



وكانت هناك زواحف أخرى متعددة منها « البراكيوشينيوس » وهو نوع آخر من البلزيوسور ، والموساسوري ، وهي سحلية ضخمة طولها حوالي ١٧ متراً . وقد بلغت هذه الزواحف العملاقة أوج ازدهارها في نهاية العصر الطباشيري ، عندما كانت الزواحف الأخرى العملاقة قد اختفت تماماً .

كما كانت هناك زواحف طائرة تسمى بترسورات — Pterosaurs يبلغ طول امتداد جناحي الواحد منها حوالي ٨ أمتار . وكانت أجسام هذه الزواحف خفيفة ورشيقة ، وعظامها مجوفة . ولم تكن تطير بقوة في الغالب ولكنها كانت تطفو على التيارات الهوائية .

وخلال الفترة الأخيرة من العصر الطباشيري ، بدأت الزواحف تتلاشى تدريجياً وبنهاية العصر كانت قد انقرضت كل المجموعات المحتوية على الحيوانات الكبيرة .

هذا ويحاول العلماء معرفة الأسباب التي أدت الى انقراض هذه المجموعة المتنوعة الضخمة من الديناصورات ، وهم يعتقدون أن ذلك ليس مردّه الى التنافس المباشر مع الثدييات المبكرة أو الى الزلازل والبراكين او الكوارث الطبيعية الأخرى كما كان الاعتقاد سائداً من قبل وانما مردّ ذلك ربما الى التغير الكبير في عوامل البيئة التي أدت الى جفاف المستنقعات الدافئة حيث كانت تعيش الديناصورات ، ومع ذلك فان العلمــاء يعترفون بأنهم لا يستطيعون حتى الآن معرفة الأسباب الكامنة وراء انقراض هذه الزواحف العملاقة •

يعقوب سلام / هيئة التحرير

الانسان

بقلم
الدكتور عبد المنعم حسنين

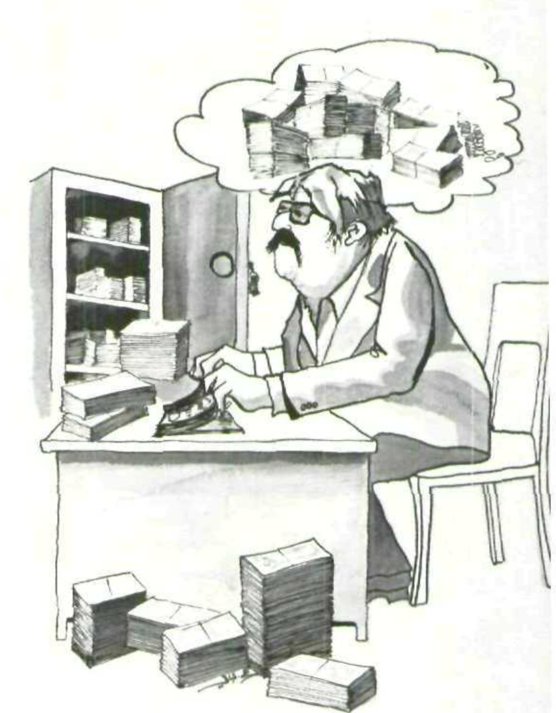
من الأمور المسلم بها أن الانسان يحب المال ، وان هذا الحب للمال تتفاوت درجته بين انسان وانسان ، ولكنه شيء كامن في فطرة كل انسان ، لأنه نابع من غريزة حب التملك وهي من أقوى الغرائز العاملة في الانسان ، لأنها تقوم أساساً على غريزة حب البقاء .

فكل انسان يحب الحياة والبقاء ، ويكره الموت والفناء ، ولا بقاء للانسان من غير شيء يملكه ، ومن هنا وجد حبه للمال ، وأصبح حباً جماً ، يجعله يطلبه دائماً ، ويلح في طلبه ، ولا يشبع منه مهما كثر عنده ، حتى لو أعطي وادياً من الذهب فانه يتمنى الثاني ، ولو أعطي الثاني فانه يتمنى الثالث ، ولو أعطي الثالث فانه يتمنى الرابع ، ولا يملأ عيني ابن آدم الا التراب كما جاء في حديث لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم . .

وقد أدى حب الانسان للمال الى أن أصبح الانسان في كثير من الأحيان ضعيفاً أمام المال ، وصار المال ذا سلطان قوي على نفسه . فكثيراً ما ينحرف الانسان الى جانب الافراط في جمع المال والاستكثار منه ، فيؤدي به هذا الافراط في حب جمع المال الى ركوب المهالك ، أو الظلم والعدوان على الآخرين ، أو معاداة الأهل والأقربين ، كل ذلك من أجل جمع المال وتملكه ، وفي سبيل الاستكثار منه ، فيتحول المال حينئذ الى شر يشقي الانسان ولا يسعده ، ويضره ولا ينفعه ، لأن الانسان في هذه الحال يصبح ضعيفاً ذليلاً أمام المال . وكلما ازداد الانسان تشبثاً بالمال ، وحرصاً على جمعه واقتنائه ، ازداد شقاؤه به في دنياه وأخراه ، كما يتضح هذا في حال البخيل الذي يضن على نفسه بشيء يسير من ماله الذي جمعه وكنزه ، وتكون النتيجة أن يعيش هذا البخيل في الدنيا عيشة الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء ، فيخسر الدنيا والآخرة معاً ، ولقد صدق علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، حين قال في أمر البخيل « عجباً لأمر البخيل يهرب من الغنى الذي له طلب ، ويتمنى الفقرَ الذي منه هرب ، فيعيش في الدنيا عيشة الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء » . .

إنّ غريزة حب تملك المال من الغرائز الكامنة في فطرة الانسان ، وهي ككل غريزة تصير خيراً اذا أحسن توجيهها ، وتصبح شراً اذا استبدت بالانسان فضعف أمامها ، فانحرفت به عن الطريق الصحيح الوسط الذي لا افراط فيه ولا تفريط ، لأن كل شيء يزيد على الحد ينقلب الى الضد وخير الأمور الوسط كما هو معروف .

ولذلك وضع الدين ضوابط للغرائز حتى لا تجمح بالانسان وتنحرف به عن الطريق الصحيح الذي يجعل منها نعمة لا نقمة ، ومجلبة للسعادة في الدنيا والآخرة ، لا سبباً في الشقاء في الدارين . وهذه



والمال

الضوابط تخفف من حدة الغرائز وتمكن الانسان من السيطرة عليها ، وتوجيهها توجيهاً حسناً صحيحاً يجعل منها خيراً ونعمة . .

وهنا تبدو أهميــة تمسك الانسان بالقيم الدينية ، واتباعه لما أمر الله به في شأن المال ، وما نهى الله عنه في طريقة كسبه وانفاقه ، وبهذا يخفف الانسان من حدة غريزة حبه للمال ، ويوجه تصرفه في المال توجيهاً صحيحاً ، ويجعله يسهم في اسعاده واسعاد المجتمع الذي يعيش فيه .

ضوابط حب الانسان للمال

لقد وضع الدين ضوابط تنظم حب الانسان للمال ، وتخفف من حدة غريزة حب جمعه وتملكه ، وترشد الانسان الى كيفية التعامل مع المال ، بحيث يحقق له العيش الكريم في الدنيا ، والثواب العظيم في الآخرة . .

فالدين لا يصطدم برغبة الانسان في كسب المال وتملكه ، بل الانسان مأمور من الله سبحانه بالسعي في الأرض للكسب والأكل من رزق الله ، كما في قوله عز وجل : « **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه** » (١) . .

والدين يفضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف ، وفي هذا حث على العمل والكسب .

غير أن الدين يوجه الانسان في كسب المال وفي انفاقه الوجهة الصحيحة التي تفيد الانسان في دنياه وأخراه ، فيدعوه الى الاعتدال والأخاء والايثار ، ويحذره من مغريات المال وفتنته ، حتى لا ينساق وراء غريزة حب جمعه وتملكه من أي طريق وبأية وسيلة ، كما جاء في قول الله تعالى : « **انما اموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ، فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيراً لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (٢) . .

ويقول الله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون .** » (٣)

فالتحذير من فتنة المال والولد مع التذكير بتقوى الله ، ومراقبته في كل عمل من الضوابط التي تحد من جموح غريزة حب التملك ، وتوجهها الوجهة الصحيحة التي تفيد الانسان وتحقق الخير له . . .

فالمال الناتج عن العمل والسعي ليس شراً ، وانما هو أداة في يد الانسان يعمر به الأرض ، ويقضي به مصالح الأهل والولد ، ويؤدي به حق الله وحق العباد ، فيكون المال في هذه الصورة نعمة يباركها الله ، ويسعد بها أهلها . .

أما المال الذي يفسد صاحبه ، ويورده موارد التهلكة ، ولا ينفق في وجوه الحق والخير والاحسان ، انما يجلب غضب الله وسخطه ، فهو نقمة ومفسدة ، لأنه يتسبب في شقاء الانسان وتعاسته . .

فالــدين يوجــه الانسان الوجهة الصحيحة في التعامل مع المال ، ويأمره بالعمل والابتغاء من فضل الله ، والمال هو فضل الله ورزقه ، والانسان مأمور بأن يسعى في الأرض ويبتغي من فضل الله ، بعد أن تقضى الصلاة ، كما جاء في قول الله تعالى : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .** » (٤) . .

فالمال ممدوح اذا اكتسبه الانسان من حلال وأنفقه في حلال ، وهو مذموم اذا اكتسبه من حرام وأنفقه في حرام . والتزام الانسان بهدى دينه يجعله يحسن الاستفادة من المال بحيث يصير نعمة تسعد وتستحق الشكر لله الرزاق الكريم . .

فلا حرج على الانسان في كسب المال وتملكه بأي أسلوب من أساليب الكسب المشروعة ، ولكن عليه أداء الحقوق المطلوبة منه في هذا المال ، فعليه أن يؤدي حق الفقير فيه ، وهذا حق فرضه الله في المال اذا بلغ نصاباً معيناً ، وحال عليه الحول ، وهذا الحق اسمه الزكاة . وقد فرض الله الزكاة في المال ، وأوجبها في الزروع عند حصادها ، وفي عروض التجارة وغيرها . .

(١) سورة الملك – آية/١٥ . (٢) سورة التغابن – آية ١٥ – ١٦ . (٣) سورة «المنافقون» – آية/٩ . (٤) سورة الجمعة – آية/١٠ .

وعلى الانسان ، أيضاً ، أن يدفع جزءاً من ماله اذا ما دعت الحاجة في حالة القحط ، أو في وقت أعداد الجيوش ، أو في وقت انشاء المرافق العامة ونحو ذلك مما ينتفع به أفراد المجتمع ، وييسر لهم حياة طيبة . .

وأداء حقوق الغير في ما يملكه الانسان من مال يجعل الانسان متصلاً بربه وبالجماعة التي يعيش بينها ، ويخفف من حدة غريزة حب التملك ، ويجعـل المـال وسيلة لتحقيق مصلحة الانسان وسعادته ، ومصلحة أفراد المجتمع وأمنهم وسلامتهم . .

إن ربط كسب المال وانفاقه بالدين ومقرراته خير ضمان لسعادة الانسان في دنياه وأخراه ، ولتحقيق الخير للمجتمع كله . . ومما لا شك فيه أن الانسان العاقل يحرص على كل ما يحقق الخير والسعادة له ، خصوصاً بعد أن غلبت المادة على منازع التفكير الانساني في العصر الحديث وأصبحت تتحكم في تفكير الناس ، وفي سلوكهم ، وفي كل عمل من أعمالهم ، مما ينطبق عليه قول الله تعالى :

« زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسّومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » (٥) . .

فالدين لا يقيم في نفس الانسان المؤمن عداوة بين الحياة الدنيا والآخرة بل يزكي العمل للدنيا والآخرة معاً ، وهو لا يحول بين الانسان وبين الاستمتاع بطيبات الدنيا المشروعة ، وهو يرسم للانسان حدوداً لا يتعداها لضمان سلامته ، ووقايته من شهوات نفسه المتسلطة عليه ، والتي تقوده الى الهلاك ، وتلبسه الشقاء في حياته قبل آخرته . .

والانسان نفسه قد يقسو أحياناً على من يحبه ويرحمه اذا كان في القسوة انقاذ له من شر ، فالأب مثلاً يحول بين صغاره وبين اللعب بالنار ، أو يمنعهم من تناول مادة سامة حتى لو غضبوا وبكوا . وهو حين يفعل ذلك ، انما يفعله رحمة بهم ، وحباً لهم ، واحساناً اليهم ، كما قال الشاعر :

فقسا ليزدجـروا ومن يك حازما
فليقس أحيانـاً على من يرحـم

فاذا وضع الدين ضوابط على حب الانسان لكسب المال وتملكه ، فان في هذا رحمة بالانسان نفسه ، وحماية له من تحكم غريزة حب التملك فيه ، واذلالها له .

الاعتدال في حب المال

يتبين مما ذكرنا أن الانسان ينبغي أن يلزم جانب الاعتدال في حب المال ، وفي كل ما يصدر عنه من أعمال . . وقد وصفت أمة الاسلام ، التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ، بأنها أمة وسط كما في قول الله الحكيم الخبير :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » (٦)

فالاعتدال في حب جمع المال وتملكه والتصرف فيه ، هو أفضل طريق لتحقيق الخير والسعادة للانسان . . والخروج عن حد الاعتدال والوسط ، خروج عن مبادىء الدين القويم ، وجنوح عن الطريق المستقيم ، وهـو أمـر يشقي الانسان ، ويلبسه الذل والهوان . .

وصفوة القول ، ان حب الانسان للمال حب فطري كحبه للحياة والبقاء . فأي نظام اقتصادي يمنع الانسان حق التملك لا يتفق مع فطرة الانسان التي فطر الله الناس عليها ، ولا ضرر في أن يمتلك الانسان المال ، ولا مانع شرعاً في أن يسلك في كسبه كل وسيلة مشروعة . ولكن الضرر كل الضرر في أن يصير أسيراً للمال . ولذلك وضع الدين الحق ضوابط على تعامل الانسان مع المال ، كسباً وانفاقاً ، لضمان سلامة نفسه الذي خلقه الله ليعمر الأرض ، وجعله خليفة فيها ، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا . .

فاذا أخذ الانسان نفسه بتعاليم هذا الدين الحنيف في كسب المال وجمعه وانفاقه ، وأدى ما عليه من حقوق في ماله ، سعد في دنياه وأخراه ، وأصبح المال نعمة من نعم الله التي لا تحصى ●

د . عبد المنعم حسنين ـ الجامعة الاسلامية

---

(٥) سورة آل عمران – آية ١٤ . (٦) سورة البقرة – آية ١٤٣ .

مَنْ أنتَ ؟!

للشاعر: يوسف زاهر

مــــن انت يـا لغــــز الحيـــــاة وقطب اسرار الــوجـــود
يــــا نسـل مــــن منـح الـرشاد ولـــم يمتّع بالخلـــود
وقـــريب مـــــن قتـــل الشقيق بسيـف شيطـان مـريــد
وهـــداه مـــا فعـــل الغـــراب لستر جثمـــان الشهيـد ؟ !

• • •

مـــن أنت يـــا ألعـوبة الأقـــدار في مهـــد الحيـــاة
كــم قــد صحوت مـــن المنام مفزعـــاً ممـــا تـــراه
وسعيت للكـــرم الخصيب وضـــلّ طـرفـــك عــن جنـــاه
وظمئت للحـــن الجميـــل وذبـت خـوفـــاً مـن صـداه ؟ !

• • •

جـــلّ الـــذي أحيـــا المـــوات وشق أستــار الظـــلام
ورعـــى شئون الطفـــل حتى جـــاز مـرحلـــة الفطـــام
وأمـــده بالـــوعـــي والادراك عـــامـــا بعـد عـــام
حـــتى استقام لـــه الطريـــق الى محـــاريب السلام ! !

• • •

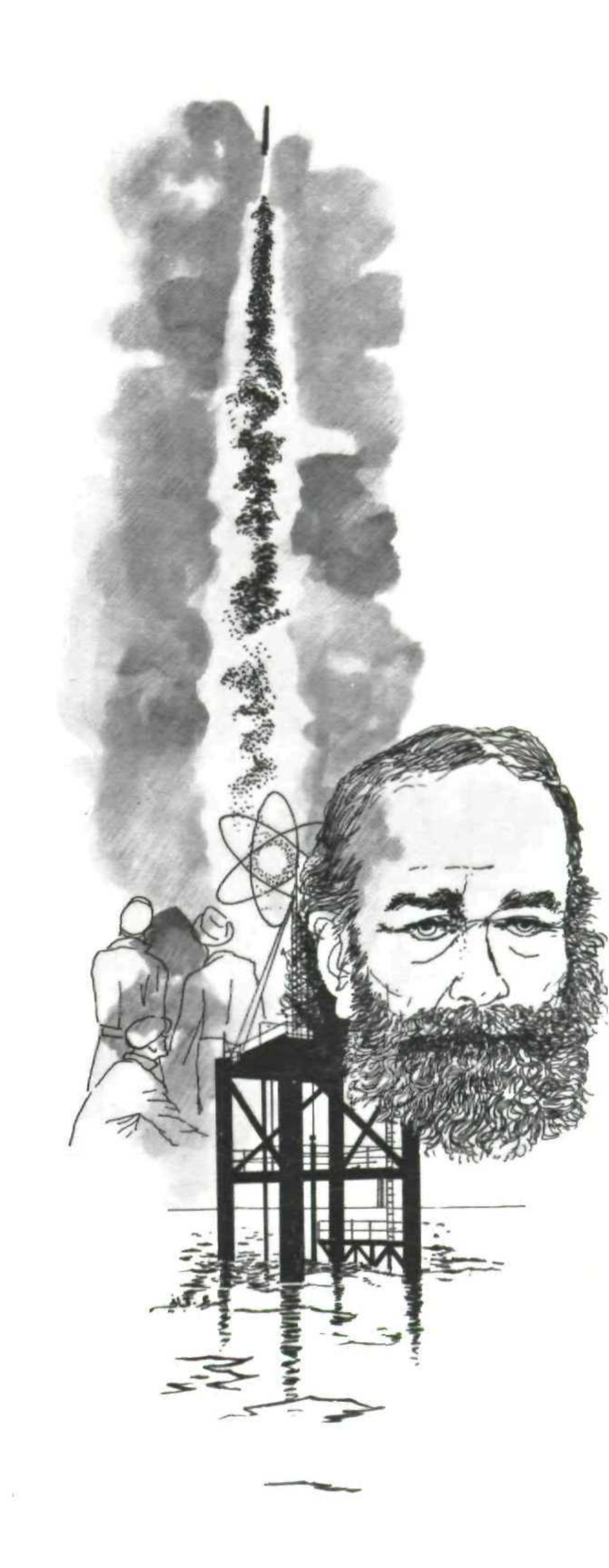
يـا مـــن لـــه ذاب الحـديـد وزلـــزلت شمُّ الجبـــال . .
وأستأنس الليث الهصـــور وصـــار أطـوع مـــن غـــزال
وبـــه القفـــار تدفقت « زيتـا » يفيض بكـــل غـــال
مـــن أنت يـا مـــن جهـده الجبـــار قد فـاق الخيـــال ؟ !

• • •

ضـاقـت بهمتـك البسيطـــة فـــاتجهـــت الـــى السماء
وبمـــا ابتدعت مــــن الوسائـل جبت أجـــواز الفضـــاء
وخطبت ودّ الـــنيرات فشاقهـــا هــــذا اللقـــاء
وزهـت بمـــا نالتـــه مـــن مهـــر الفتـوّة والفـــداء ! !

• • •

أنـت « ابـــن آدم » جـــلّ مـــن سوّاك انسانـــاً أمينـــا
وبمـــا هـــداك اليـه مـن علـــم بهـرت العالمينـــا
فـــارفـــع بـــه صرح السلام وعش لـــه دنيـــا ودينـــا
وازدد لــــربـــك طاعـــة تلحـــق بركـب الخالـدينـــا ! !



جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومؤتمر نهاية القرن الرابع عشر

بقلم: الاستاذ عبدالله بن ادريس

كثر الحديث عبر الصحف المحلية والعربية والاسلامية هذه الايام حول اجتماعات تعقد واستعدادات تبذل هنا وهناك بمناسبة نهاية القرن الرابع عشر الهجري ودخول القرن الخامس عشر. ولا ريب أن المناسبة عظيمة تستحق كل ما يبذل في سبيلها ويعمل من أجلها.

لقد شهد القرن الرابع عشر، الذي شارف النهاية، وأزف رحيله، واستجمع كل أطرافه، استعداداً للقفز خلف المجهول من سدة الزمن الأزلي، شهد أحداثاً جساماً وتغيرات وتطورات كبرى على مستوى العالم الاسلامي خاصة والعالم البشري عامة.. وقد حفلت هذه التطورات الكبرى بالكثير من الخير والشر وبالجوانب المشرقة فيها والجوانب المعتمة منها.. فيها الايجابي النافع الذي يجب على العالم الاسلامي أن ينميه ويوسع مجالاته ويقوي جوانبه، وفيها السلبي الذي يجب أن تدرس أسباب وقوعه لتحذر وتعالج، ويعمل على التخلص من آثاره الضارة بقدر المستطاع.

ذلك أن نهاية كل قرن واطلالة قرن جديد مناسبة تتحدد فيها ذكرى أمجاد الاسلام العظيمة، وشريعته السماوية الخالدة، وفتوحاته المبشرة الهادية، وعلومه وثقافاته الأصيلة الصافية المنسجمة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها..

وهذا الأمر يحتم على المسلمين عامة أن يقفوا مع أنفسهم وقفات تأملية متأنية تجاه دينهم وعلاقتهم بالله رب العالمين، واستعراض تاريخهم خلال هذا القرن لاستخلاص العبر والنتائج في جوانبها الايجابية والسلبية، وتحديد أسباب ما وقع عليهم من مصائب ونكبات، وما منوا به من كوارث ونكسات.

والمسلمون عامة بحاجة ماسة وملحة الى صحوة اسلامية صحيحة قوية، والى شد أزرهم ولم شتاتهم والتعرف الى واقعهم سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وعلمياً وعسكرياً في اطار تعاليم الدين الاسلامي الحنيف.

ومناسبة نهاية القرن واطلالة قرن جديد هي مناسبة زمنية خصبة لمعرفة انجازات المسلمين في القرن الذي رحل، وما ينبغي أن يعملوه في القرن الذي حل، تجاه الاسلام وعلومه وحضارته، وتجاه المنتمين اليه وهم الأمة الاسلامية الكبرى التي لها شأنها العظيم في هذه الحياة الدنيا وشأنها الأعظم مع البشرية جمعاء فيما يتعلق بالحياة الآخرة من حيث حملهم أمانة دعوة الناس جميعاً الى الاسلام، وتبليغهم رسالة الله الخاتمة في الأرض، أداء لواجب التبليغ والدعوة، الذي هم مسئولون عنه أمام الله يوم القيامة.

لهذه الأسباب الآنفة الذكر أعربت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية للمقام السامي عن رغبتها في اقامة مؤتمر بمناسبة نهاية القرن الرابع عشر الهجري وحلول القرن الخامس عشر، يشترك فيه نخبة من علماء الشريعة المتخصصين في العلوم الاسلامية عامة، وفي علوم التاريخ والاجتماع والاقتصاد والتقنية، والمهتمون بتراث الاسلام وحضارته.

وفور صدور الموافقة السامية على اقامة هذا المؤتمر، بادرت الجامعة الى تشكيل هيئة علمية تتولى التخطيط والتنظيم لهذا المؤتمر، وفقاً لقرار اداري أصدره مدير الجامعة.

وقد عقدت الهيئة العلمية لأمانة المؤتمر عدة اجتماعات لوضع التصورات اللازمة لما يجب أن يكون عليه هذا المؤتمر وخرجت، والحمد لله، بتصورات دقيقة وشاملة، أفرغت في كتيب يشتمل على ٥٠ صفحة باللغة العربية، طبع ووزع على بعض الجهات المعنية كالجامعات وبعض المنظمات الاسلامية، وأرسلت منه نسخة الى كل عالم أو باحث طلب منه المساهمة في هذا المؤتمر، مع خطاب تفصيلي حول البحث الذي سيعده.

وقد رأت الجامعة أن تعيد طباعة الكتيب في طبعة ثانية ، باللغتين العربية والانجليزية ، ليتعرف العلماء والباحثون الى الموضوعات التفصيلية التي يتضمنها الكتيب ، والتي ستكون مجالات للتأليف والبحث والدراسة .

أعمال المؤتمر

وتتلخص الأعمال الرئيسية للمؤتمر في الأمور الاساسية الآتية :

- تسجيل أهم الأحداث التي جرت على مدار القرن الرابع عشر الهجري في مختلف نواحي الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد وما الى ذلك .
- القاء نظرة فاحصة على هذه الأحداث لتقويمها وبيان ما تنطوي عليه من محاسن ومساوىء .
- التخطيط للمستقبل في ضوء التسجيل والتقويم السابق ذكرهما لبيان ما ينبغي عمله لكي تقوم شئون العالم الاسلامي على دعائم قوية وتسير على مناهج سليمة ، ولكي يفيد القرن الخامس عشر والقرون التالية من المعطيات القيمة لهذا القرن ويتقي جميع المثالب فيه بقدر المستطاع .

أهداف المؤتمر

يرمي المؤتمر من وراء أعماله الآنفة الذكر الى أن تتبوأ الأمة الاسلامية المكانة الرفيعة التي أرادها الله لها اذ وصفها سبحانه بأنها « خير أمة أخرجت للناس » ، فتتحقق بذلك أهداف سامية يرجع أهمها الى ما يلي :

- تجديد ثقة المسلمين بمقومات شخصيتهم الفريدة وعطائهم الوافر بصفتهم الأمة التي حملت رسالة الحق والخير والعدل والسلام الى الانسانية جمعاء .
- تنمية عناصر القوة الكامنة في كيان الأمة الاسلامية ومعالجة عوامل الضعف فيه .
- بيان موقف الاسلام من قضايا العصر ومشكلاته .
- اعداد المسلمين فكرياً وعملياً للتصدي للتيارات المعادية للاسلام وحضارته .

أما الموضوعات الرئيسية التي سيطرحها المؤتمر للدراسة فتشمل ما يلي :

- الشريعة الاسلامية بمدلولها الشامل .
- مسار الدعوة الاسلامية في جميع أنحاء الأرض .
- الحركات الاسلامية الاصلاحية .
- الدعوات المعادية والحركات الهدامة .
- الحركات التي قامت باسم الاسلام .
- التربية ، والتعليم ، والثقافة .
- الاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة .
- الحضارة المدنية في الصناعة والعمارة والتكنولوجيا .

وتدخل ضمن هذه المجالات الثمانية المجملة مجالات تفصيلية أخرى نحو « العسكرية الاسلامية » و « قضية المرأة في العصر الحديث » وغيرهما مما لم ينص عليها صراحة في المجالات الثمانية السالفة الذكر ولكنها تدخل ضمنها ، لأن هذه الموضوعات اجمالية لا تفصيلية .

هذا وقد وجهت أمانة المؤتمر الدعوة الى مئات من أبرز العلماء والباحثين في العالمين العربي والاسلامي ، وشفعت خطاب الدعوة بنسخة من الكتيب الذي هو بمثابة دليل للمؤتمر ، وقد حصرت الأمانة في دعوتها أن يتقيد الباحثون بالأمور التالية :

- أن يكون البحث جديداً لم يسبق نشره من قبل .
- أن يراعي الباحث في بحثه الأمور الاساسية الثلاثة التي يعمل المؤتمر على تحقيقها وهي « تسجيل أهم الأحداث ، تقويمها ، التخطيط للمستقبل » .
- أن يكتب البحث أو الدراسة باللغة العربية أو باحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية ، على أن يرافقه ملخص واف باللغة العربية ويفضل أن يكون البحث مطبوعاً على الآلة الكاتبة .
- أن يكون مدعماً بالمصادر والمراجع والفهارس .
- أن يراعي الباحث في أثناء بحثه لأي مسألة أن يترجم لمن كان له أثر فيها .

هذا وقد قررت الجامعة أن يكون للبحوث تقدير مادي وأدبي ، كما ستطبع الجامعة ما تختاره من هذه البحوث في كتب متتابعة وتمنح أصحابها مكافآت مجزية ، وذلك تقديراً منها للبحوث الممتازة التي تأمل أن تصل اليها عن قريب من العلماء والباحثين .

وسيتم انعقاد هذا المؤتمر ، ان شاء الله تعالى ، بعد انتهاء القرن الرابع عشر وحلول القرن الخامس عشر ●

عبد الله بن ادريس ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

الكبزون

السمكة المتلونة في البحار العميقة

عالم البحار مليء بالغرائب والعجائب من نبات وحيوان وجبال ووديان وسهول وأقبية. ويصف الغواصون متعتهم بما يشاهدون من مناظر طبيعية وحيوانات بحرية في قاع البحر بأنها لا تقل عن المتعة بالمناظر الطبيعية والحيوانات البرية في الجبال والغابات والصحارى. فقيعان البحار عوالم قائمة بذاتها لكل منها بيئة خاصة ومجتمع مستقل.

من حيوانات البحار العميقة سمكة «الكبزون — Cabezon» التي تعيش مقابل ساحل كاليفورنيا، على مقربة من منصات الحفر والانتاج البحرية العاملة في المناطق المغمورة. وهذا النوع من الأسماك لا يلفت نظر الصيادين. فلا يكاد أحدهم يصطاد سمكة منها حتى يطرحها، مع غيرها من السمك الذي اصطاده، بدون اي اهتمام، بل وربما بشيء من الضيق. فالطلب على هذا النوع قليل جداً، ومع أن السمكة منه قد تكون سمينة لحيماً، الا أن لحمها المائل الى الاخضرار يصد النفس عنها ويضعف الشهية اليها.

وسمكة «الكبزون» ذات رأس كبير فيه عينان جاحظتان يحيطهما ما يشبه الشعر الناعم. كما أن شفتيها غليظتان وزعانفها شائكة حادة. ويصف أحد الغواصين سمكة «الكبزون» بشيء من الغرابة فيقول: نزلت وصديقي المصور الى البحر على مقربة من احدى منصات الحفر، كعادتنا منذ خمس سنوات، لتصوير وتسجيل ما يطرأ على الحياة البحرية حول مرافق التنقيب عن الزيت وانتاجه. وعلى عمق نحو ٤٠ قدماً تمهلنا لننظر حولنا، فانشغل زميلي المصور بآلته ورحت أنا أدور بين أعمدة المنصة الثابته في قاع المحيط على أمل أن أجد شيئاً جديداً يستحق التسجيل في جولتنا الدورية هذه. وبطبيعة الحال شاهدت آلاف الأسماك والحيوانات البحرية الصغيرة وخاصة «بلح البحر — Mussel» وهو نوع صغير من الرخويات، الذي كان يغطي قوائم المنصة مع غيره من أسماك «البرنقيل — Barnacles» ذات القشرة الرهيفة. وهناك، على مربع من الأعمدة شاهدت سمكة «الكبزون» قابعة في سكون غريب وكأنه لا يعنيها شيء مما يدور حولها في تلك المنطقة العميقة من البحر.

ان سمكة «الكبزون» هادئة قليلة الحركة لا تنشط الا اثناء حراستها لبيضها أو عندما تنقض على فريستها. وعلى ذلك فهي غير مشاكسة، وبالكاد تجفل ممن يقترب منها، حتى وأن كان أكبر منها وأضخم كالانسان مثلاً.

ويتابع الغواص حديثه عن السمكة الآنفة الذكر فيقول: واقتربت منها حتى كاد الواقي الذي ألبسه على وجهي يلامس رأسها دون ان تتحرك بعيداً عن بيضها الذي كان يبدو ككومة من الكافيار الأرجواني — Purplish Caviar». وفجأة اقتربت سمكة منها تحاول النيل من بيضها، فقفزت نحوها تطردها ثم عادت الى مكانها. وبدا لي أنها غير منزعجة بوجودي الأمر الذي شجعني على مداعبتها. فمددت يدي نحوها وقربت أصبعي من رأسها حتى لامسته، فما نفرت مني ولا هاجمت يدي. ثم أخذت أتحسس ظهرها وذيلها حتى خيل الي انني استطيع أن أمسكها لو شئت ذلك. ثم جاء زميلي المصور وأخذنا نتفحص عينيها وما فوق جفونها من الشعر الناعم، كما أخذ زميلي يتحسس زعانفها الصلبة الحادة دون أن يبدو عليها أي ضيق، الا أنها كانت تنطلق فجأة كالسهم كلما اقتربت سمكة من بيضها، وما أن تطردها حتى تعود الينا وتقبع أمام أعيننا تحرس بيضها بأمانة وحرص واخلاص.



رأس سمكة الكبزون الكبير ذو الشفتين
الغليظتين والعينـــين الجاحظتين .

ان جسد سمكة « الكبزون » صلب مطاطي الملمس خال من القشور وهي سريعة التلون فتكاد لا ترى بين الأعشاب البحرية اذ تتلون بلون البقعة التي هي فيها كالحرباء في البر . وهذه القدرة تساعدها على سرعة التخفي والهروب من اعدائها . فهي بنية اللون وفي لحظة قصيرة تنقلب الى حمراء فخضراء أو بيضاء حسب المكان الذي تعبره أو تتوقف فيه .

وتنمو سمكة « الكبزون » الى حد يصل طولها فيه الى ٧٥ سنتمتراً ، ووزنها الى نحو ١٢ كيلوغراماً . ومع أنها غالباً ما تعيش في الأعماق الا أنها تفضل العيش بين أعشاب الانقليس البحرية — eelgrass » حيث تتلون بلونها الأخضر أو بين الطحالب البحرية البنية اللون .

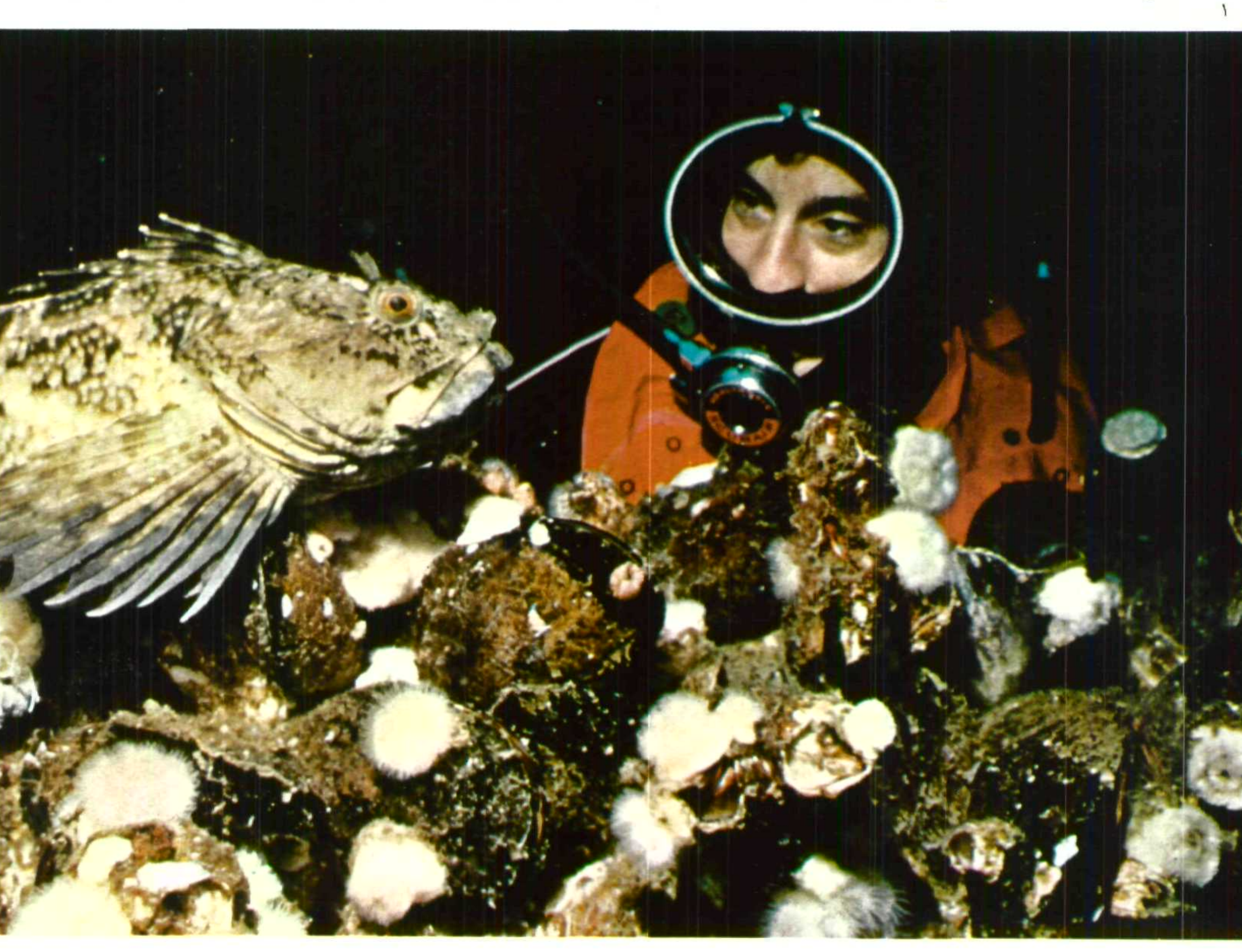
وكثيراً ما تلتجيء أسماك «الكبزون» ، وهي في طور اليرقة ، الى قوائم منصات الحفر البحرية . فهي بعيد أن تفقس تحاول اللجوء الى أول شيء صلب يصادفها كالصخور والنباتات ، فتعلق به أو تظل قريبة منه ، فهي كسول قليلة الحركة ولا تكاد تسبح إلا عندما يداهمها خطر فتسرع لتختبيء ، أو عندما تنقض لالتقاط بعض الطعام .

وفي فصل الشتاء من كل عام ، بين شهري نوفمبر ومارس تضع أناث « الكبزون » بيضها على سطوح صلبة بعد أن تنظفها من الأعشاب البحرية .

وفي العادة تلتقي الذكور والأناث ذاتها عاماً بعد عام وفي المكان نفسه الذي التقت فيه من قبل . ويقدر علماء الأحياء البحرية عدد البيض الذي تضعه الأنثى البالغة التي تزن ١,٥ كيلوغرام بنحو خمسين ألف بيضة ، أما الأنثى التي يزيد وزنها على خمسة كيلوغرامات فتضع نحواً من مئة ألف بيضة في الموسم الواحد .

وقد اختلفت آراء علماء الأحياء البحرية فيمن يحضن البيض حتى يفقس : ألذكر أم الأنثى . ففي معظم أنواع الأسماك يقوم الذكر بالمهمة فتراه يسبح فوق البيض جيئة وذهاباً بحركة عصبية يحرسه ويطارد أي عدو يقترب

١



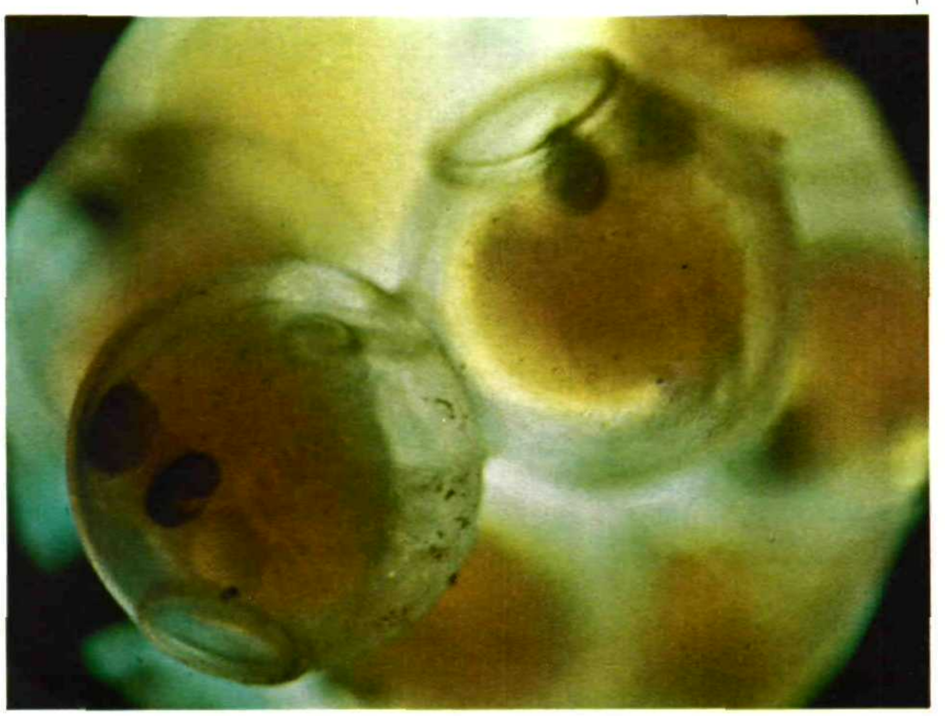
منه ، وفي الوقت نفسه يقوم بعمل تهوية للبيض بزعانفه القوية . أما في أسماك « الكبزون » فيرى بعض علماء الأحياء البحرية أن الأنثى هي التي تقوم غالباً بحراسة البيض حتى يفقس .

ويتابع الغواص حديثه عن تجربته تلك فيقول : وقبل أن نصعد الى سطح الماء اختلس المصور بعضاً من بيض الكبزون ليفحصه ويصوره تحت المجهر في المختبر . فظهر لنا أن هذا البيض ، الذي يبدو كتلة جامدة بالعين المجردة ، مليء بالحركة النشطة المستمرة : قلوب صغيرة تنبض ، عيون سود تتحرك في أكياس من المح الأصفر .

٢



٣





١ – يكاد قناع الغواص يلامس رأس السمكة وهي ساكنة في مكانها وكأن الأمر لا يعنيها .

٢ – تتلون سمكة الكبزون حسب الموضع الذي تكون فيه ، وهي هنا بيضاء مائلة الى الاخضرار .

٣ – تحت المجهر ظهرت عيون اليرقات كنقاط سود ، كما شوهدت قلوبها نشيطة تنبض .



وعندما يفقس البيض تخرج منه يرقات صفر برتقالية مغطاة ببقع سود داكنة . ولا تكاد تخرج من البيض حتى ترتفع تلقائياً الى سطح الماء وتصبح واحدة من بلايين البلايين من المخلوقات الشعرية الدقيقة العالقة بغيرها أو العائمة بنفسها في ذلك المحيط الواسع .

واذا قدر ليرقة من هذه البلايين أن تنجو من أعدائها وتبقى على قيد الحياة الى أن تصل الى مكان ملائم يحميها فانها تقبع فيه وتعيش وتنمو بهدوء . ولما تكبر اليرقة وتأخذ شكل السمكة الكاملة فانها لا تبتعد كثيراً عن مكانها ، ولا تضل عنه .

وتتغذى على الأسماك الصغيرة والرخويات من حولها كلما جاعت . وعندما يكتمل نموها من حيث العمر والحجم ، تلتقي الاناث بالذكور وتبدأ كأسلافها بانتاج البيض ، ويفقس البيض وتخرج منه اليرقات الصغيرة .

وكثيراً ما يتجول الصيادون حول منصات الحفر والانتاج البحرية حيث تلتجيء الأسماك ، على مختلف أنواعها ، لتحتمي بها وتعيش بقربها وهي لا تدري أن هناك حتفها ونهاية مصيرها .

إبراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير



انثى الكبزون تحرس بيضها ، الذي يبدو كالكافيار
الأرجواني ، العالق بإحدى قوائم المنصة البحرية .

في الليل تقوم أسماك الكبزون باصطياد طعامها
من الرخويات البحرية والأسماك الصغيرة
« السلطعون » وغيرها .



ديناصور من نوع «تيرانوصورس» يقبض بأنيابه الحادة على ديناصور عشبي ضخم في مستنقع من العصر الميزوزوي قبل نحو ٨٠ مليون عام .